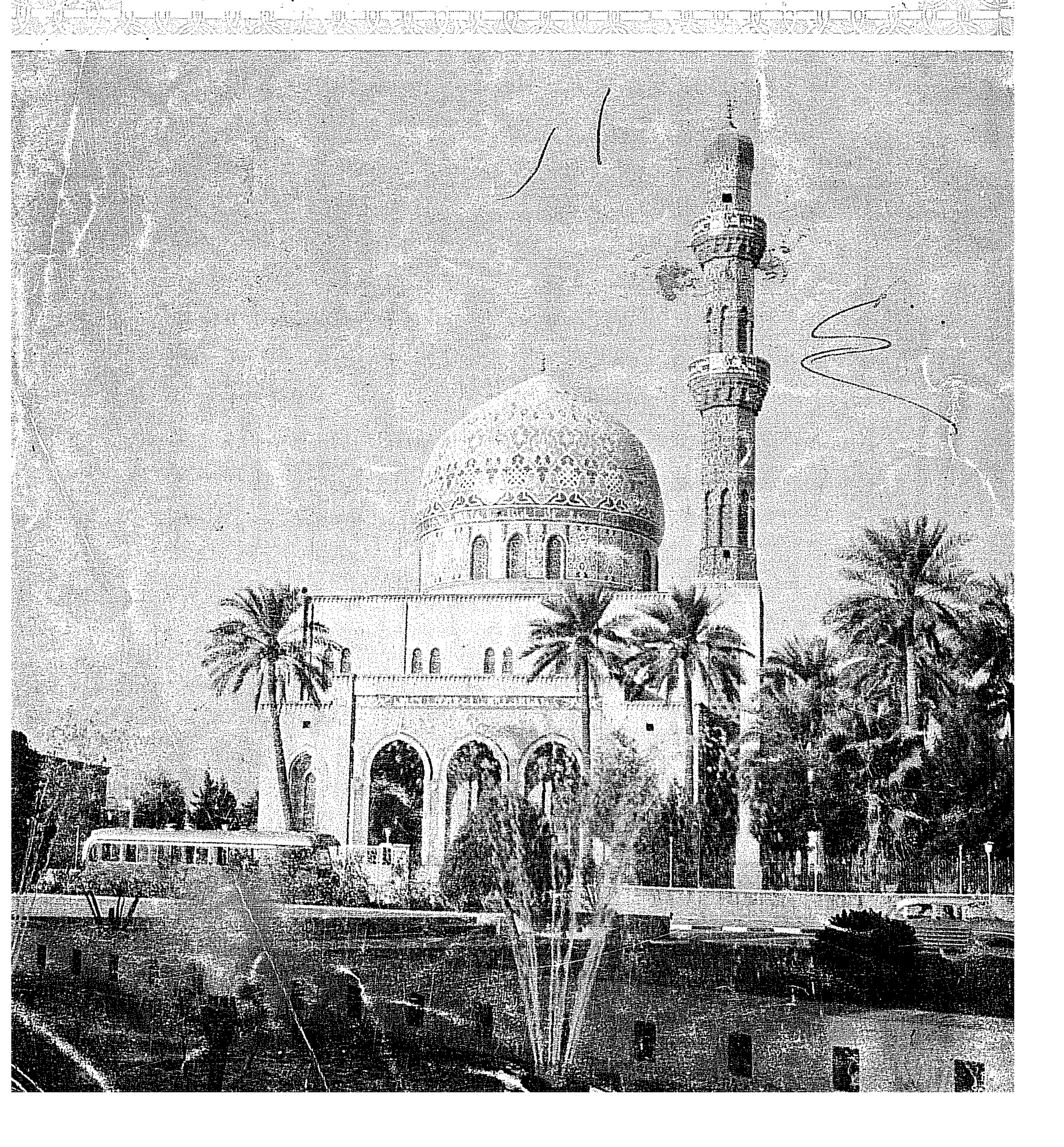
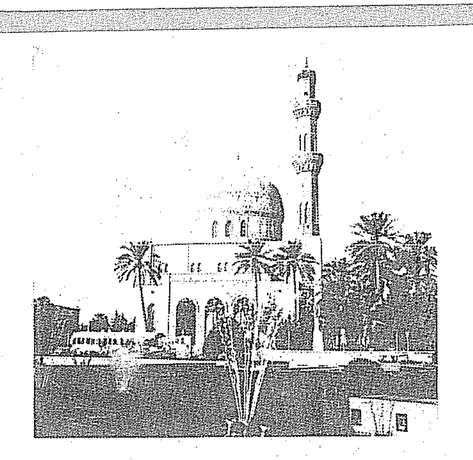
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٢٦) – غرة جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ – يونيو ١٩٧٥ م



اقرأ في هذا العدد



مسجد الشهداء

في بغداد

العراق

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العدد : ١٢٦

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ ـ يونيو ١٩٧٥ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية

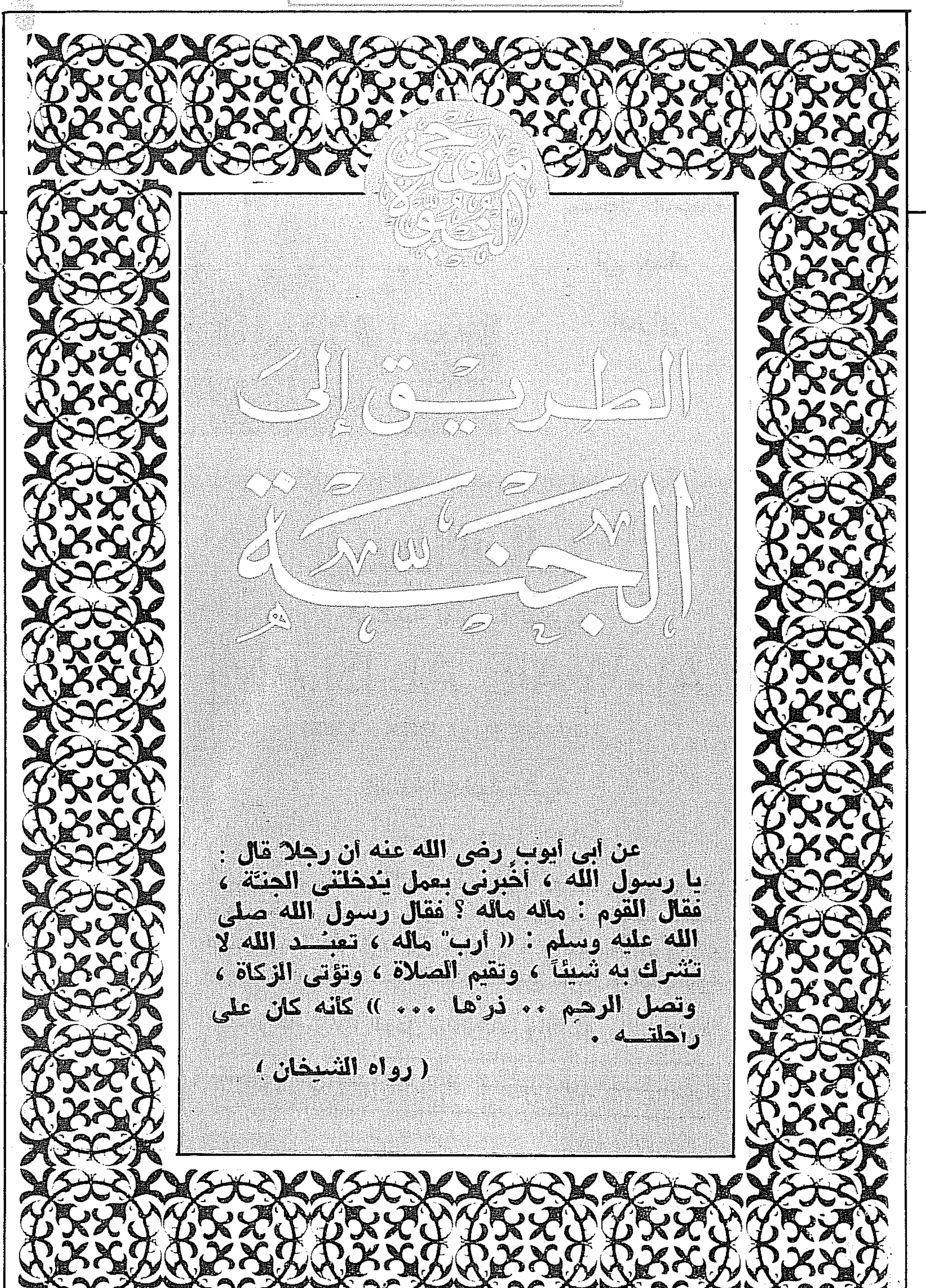
بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



للشيخ أحمد البسيونى

راوى الحديث صحابي جليل ، هو ابو أيوب الانصارى رضى الله عنه ، يصف لنا واقعة شهدها بنفسه ، وسجل فيها حوارا دار بين النبى صلى الله عليه وسلم ، وبين سائل اعترض طريقه ، وكان الرسول الكريم على راحلته ، فأمسك الرجل بزمامها ، حتى اذا توقفت عن المسير ، وجه إلى راكبها عليه الصلاة والسلام سؤاله ، وتلقى منه الجواب هديا نبويا كريما ، وارشادا الى أركان الإسلام ، وأمهات الفضائل ، التى تفضى بصاحبها الى الجنة ... وقد شهد هذه الواقعة مع أبى أيوب ، طائفة من الصحابة ، وقد تملكهم العجب من جراءة السائل ، وقد اقتحم على الرسول طريقه ، وتشبث بزمام راحلته ، فأخذوا يتساءلون فى عجب ودهشة ، ماله ؟ ماله ؟ كأنما كبر فى نفوسهم ، أن يعترض رسول الله معترض ، وأن يحول بينه وبين مواصلة السير الى غايته ، حتى يتلقى الجواب على سؤاله الذى طرحه ، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، هدأ من ثائرة أصحابه ، والتمس للرجل عذرا فيما فعل فقال لهم : أربٌ ماله) والأرب : الحاجة ، والمقصد ، اى : أن لهذا الرجل حاجةٌ ما هى التى دفعته الى هذا الموقف .. ان الرجل يريد أن يعرف الطريق الى الجنة ، والأعمال التى تأخذ بيده لتدخله الى ساحتها ، فيصبح من الوارثين ، الذين يرثون الفردوس ، هم فيها خالدون .. ثم شرع المعصوم صلى الله عليه وسلم ، يخبر السائل **بالعمل الذى يدخله الجنة فقال له :**

تعبد الله لا تشرك به شيئا .

والعبادة بحسب مدلولها اللغوى ، تعطى معنى : التذلل والانقياد والخضوع ، تقول العرب : طريق مُعبَّد اى مذلل ممهد ، تستطيع الأقدام أن تسير فيه بسهولة . ومعنى العبادة فى نظر الاسلام ، انقياد المؤمن لحكم الله ، فيراه الله حيث أمره ، ولا يراه حيث نهاه ، على أن يكون مبعث ذلك الحب لله تبارك وتعالى ، فالعبادة التى لا تقترن بهذا الحب ، لا وزن لها عند الله ، فلا بد أن يقترن الخضوع لله ، بالحب والرضى والإخلاص لوجهه الكريم ، والى هذا يشير قوله تعالى : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما)** (النساء/٦٥) يقول الامام ابن القيم رحمه الله « فمن أحببته ولم تكن خاضعا له ، لم تكن عابدا له ، ومن خضعت له بلا محبة ، لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا » .

ومن هنا تتفاوت درجات الناس فى العبادة ، فمنهم المخلصون الذين

يلتزمون ما جاء به الاسلام ، ويتجهون فى أعمالهم وأقوالهم لله وحده **(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين لـــه الدين حنفـــاء ، ويقيموا الصـــلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة)** (البينة/٥) ومن الناس من لا إخلاص لهم ولا متابعة ، وغاية همهم ، أن يفاخروا بأعمالهم السيئة ، كالبدع والضلالات ، وهم مع هذا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، وهم الدين عناهم الله تعالى بقوله : **(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحســـبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم)** (آل عمران/١٨٨) . ومن الناس من تراهم مخلصين فى أعمـــالهم ، مجدين فى أدائها ، يحسبون أنهـــا تقربهم الى الله ، على حين أنهم لا يزدادون بها من الله بعـــدا ، كالعبّاد الجهـــلة ، والمنتسبين الى الصـــوفية زورا ، يظنـــون أن ترك الجمعة والجماعات ، والتزام الخلوة، عبادة تقرب الى الله ، أو أن مواصلة صوم النهار بالليل ، وقطع الصـــلة بالدنيا ، والعزوف عن الزواج ، زهد وتبتل . . . ثم يأتى بعد ذلك المراءون ، الذين يفعلون الطاعات ، ويهجـــرون الســـيئات ، لا بوازع دينى ، ولكن لينالوا بذلك ثناء الناس ومحمدتهم ، كالرجل يصلى رياء ، ويقاتل حميـــة وشجاعة ، ويتصدق مباهاة ، ويحج ليظفر بلقب « الحاج » فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أنها أعمال صالحـــة مأمور بها ، ولكنها غير خالصة ، فلا تقبل عند الله لأنها خداع وزيف **(يخادعون الله وهو خـــادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ، ولا يذكـــرون اللـــه إلا قليـــلا)** (النساء/١٤٢) .

وفى هذا الحـــديث الشريف يربط الرسول الكريم بين العبادة ، ودخول الجنة ، وفى القـــرآن الكريم آيات كثيرة ، تدل على هـــذا ، منها قوله تعـــالى : **(ونودوا أن تلكم الجنـــة أورثتموهـــا بمـــا كنتم تعمـــلون)** (الأعراف/٤٣) . **(أدخلوا الجنـــة بما كنتم تعملون)** (النحل/٣٢) . **(هل تجزون إلا ما كنتم تعمـــلون)** (النمل/٩٠) . وهذا يجعل العبادة فى نظر الاسلام واســـعة الدلالة ، شاملة المعنى ، فليست هى كمـــا يتوهم بعض الناس ، محصورة فى دائرة المسجد لا تتعد الى دنيـــا الناس ، إنها — فى نظرهم القاصر — ركوع وســـجود ، وذكـــر ودعـــاء فحسب ! وهذا من الأفكار الخاطئة التى تحوم حول مبادىء الاسلام ، والإسلام منها براء . . . العبادة فى الاسلام ، معناها أن يؤدى الانســـان واجبـــه نحـــو ربه ، ونحو نفســـه وأسرته ، ونحو المجتمع الذى يعيش فيه ، فالصلاة عبادة ، والسعى على الرزق بالوسائل المشروعة عبادة ، والصلح بين الناس عبادة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة وعبـــادة ، وأداء الواجبات الزوجيـــة والأسرية عبادة ، والجهاد فى ســـبيل الله ، ذروة سنام الاسلام ، والقمة العليا للعبادة ، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه الصحيحة

مجموعة ضخمة من الأعمال العادية التى يمارسها الناس فى حياتهم ، ثم خلع عليها ثوب العبادة ، متى صدقت النيــة ، وكان القصد وجــه الله تعالى ، وذلك كالأكل ، والشراب ، والنوم ، متى كان ذلك معينــا على النهوض بالواجبات ، وكذلك ممارسة العمــل الوظيفى ، وحفــر البئر ، وغرس الشجر ، واستنبات الزرع ، واصلاح الطرق . . ذلك كله عبادة . . وبهذا يتحول المجتمع الاسلامى الى مجتمع عامل ، لا مكان فيه لخامل أو متعطل ، ويتحول المسلمون جميعــا الى عمال ، يجمعهم العمل فى ساحته المباركة ، عاملين عابدين . . . ومن هنا كانت العبادة ، هى الغاية من خلق الله لعباده **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** (الذاريات/٥٦) ومن أجل العبادة ، أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وجعلت الجنـــة والنار . والعبادة فى أفقها السامى الوضىء ، تعنى : الاحسان ، وهو : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانــه يراك . . . واذا كـــانت العبادة بهذه المنزلة السامقة السامية فان الشرك بالله ــ والعياذ بالله ــ انتكاس فى الفطرة ، وانطمـــاس فى البصيرة ، وظلم للنفس عظيم **(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ، يا بنى لا تشـــرك بالله ان الشـــرك لظلم عظيم)** (لقمان/١٣) . ومن أشرك بالله ، فقد قطع صلته بالقوة القادرة القاهرة ، التى تدبر أمر هذا الكون ، ثم هو بعد هذا الانفصال الرهيب ، يضرب فى تيه من الضلال والحيرة ، تتقاذفه أمواج الضياع ، وتجتاحــه الريح العاتية فلا يعــرف له قرار **(ومن يشــرك بالله فكانما خــر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)** (الحج/٣١)

وتقيم الصـــلاة :

للصــلاة أثرها البعيد فى حيــاة المســلم وســلوكه ، فهــى الرباط الروحى ، الذى يصله بربه ، وهى نور يضىء عقل المؤمن وفكره ، ويشرق فى نفسه ، فيضفى على حيـــاته الطمأنينــة والبهجة ، ويشــيع فى ضميره العفاف والطهر ، ويلقى فى وجدانه الصواب والصدق ، وصدق الرسول الكريم حيث يقول فى حديث رواه مسلم « والصلاة نور » وانهــا عملية تطهير يومية ، تنظف ظاهــر الانســـان وباطنه ، تنظف ظــاهره بالوضوء ، وتغسل باطنه من الأوضار والأوزار ، يقول صــلى الله عليــه وسلم فيما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هــل يبقى من درنه شىء » ؟ قالوا : لا يبقــى من درنه شىء قال : « فذلك مثل الصــلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

واذا أقام المؤمن صلاته محافظــا عليها ، خاشعا فيها ، قامت حاجــزا حصــينا بينه وبين المعــاصى **(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** (العنكبوت/٤٥) ولا تزال به الصلاة ، حتى يستقيم منهجه فى الحياة ، وتتحول سيئاته الى حسنات

حيث لا مكان فى سلوكه لمأثم وانحراف **(وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات)** (هود/١١٤) . ومواقيت الصلاة الموزعة على ساعات الليل والنهار ، تقوم كنقطة الحراسة على درب الحياة ، تعصم المصلى من الزلل ، ولا تدع له فرصة ينفلت فيها من هذه المراقبة لأنه إما فى صلاة ، أو خارج من صلاة ليستقبل صلاة غيرها ، وبذلك تبقى روحه موصولة بالملأ الأعلى دائما .. ولعل هذا هو السر فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا أمر بلالا بإقامة الصلاة ، يقول : « أقم الصلاة ، أرحنا بها يا بلال » !! رواه احمد وأبو داود .

والقرآن الكريم ، يعبر عن اداء الصلاة بإقامتها ، وفى ذلك إشارة الى انه لا يكفى أن تؤدى الصلاة أعمالا واقوالا ، خالية من التدبر والخشوع ، فان معنى إقامة الصلاة تعديل أركانها ، والمحافظة على أوقاتها ، وفرائضها ، وسننها ، وآدابها ، من أقام العود : اذا عدّله وقومه ، فهو يأخذ وجهة واحدة ، لا انحراف فيها ولا زيغ ، والصلاة بهذا المعنى : معراج تعرج عليه أرواح المؤمنين الى أفق ملائكى رفيع، ومن ثم فهى العبادة الوحيدة التى لم تفرض فى الأرض ، ولكنها فرضت فى السماء ، وتلقاها النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، ليلة الإسراء والمعراج .. وهى زاد روحى ، يعين المؤمن على اقتحام ميادين الحياة ، وتحمل تبعاتها فى صبر وجلد ، لأن الإحساس العميق بالوقوف بين يدى الله ، والاستغراق فى مناجاته ، واستحضار عظمته وجلاله ، والضراعة الخاشعة فى دعائه ، كل ذلك يمد المؤمن بطاقة لا حدود لها من العون والعزم ، **(يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين)** (البقرة/١٥٢) وأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة » رواه احمد وأبو داود عن حذيفة .. واذا سيطر على البيئة جو الصلاة ، استقام أمرها .. واذا نهض البيت المسلم على الصلاة ، شب أبناؤه على الصلاح والطهر ، واخذت الأسرة وجهتها الراشدة فى دنيا الناس ، ومن هنا يدعو القرآن الكريم الى الأمر بها ، وتحمل مشقة الدعوة اليها فى محيط الأسرة **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)** (طه/١٢٣) . ويرشد الاسلام الى تعليم الناشئة الصلاة منذ نعومة أظفارهم ففى الحديث الشريف : « مروا أولادكم بالصلاة اذا بلغوا سبعا ، واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » رواه أحمد وغيره والمصلى اذا خطا خطوات الى المسجد ، واندمج فى غمار الجماعة ، أحاطت به وبمن معه كوكبة من ملائكة الله ، يصلون عليه ما دام فى مصلاه ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « صلاة الرجل فى

جماعته ، تضعف على صلاته فى بيته ، وفى سوقه ، خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة ، لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة ! » رواه البخارى .

وتؤتى الزكاة :

الزكاة : ركن من أركان الاسلام ، وفريضة من فرائضه ، وهى إعطاء جزء من المال الذى تجب فيه الزكاة ، وهو الذى بلغ النصاب الشرعى ، وحال عليه الحول . وهى مأخوذة من « زكا » الشىء اذا زاد ونما ، لأن إخراجها سبب لنماء المال وزيادته ، وقد ورد أن الله تعالى يربى الصدقة وينميها ، ويضاعف الثواب عليها ، وفى الحديث : « ما نقص مال من صدقة » رواه مسلم وأحمد والترمذى أو هى مأخوذة من « زكت النفس » اذا طهرت ونظفت « **قد أفلح من زكاها** » (الشمس/٩) وذلك لأن إخراجها تطهير للنفس من رذيلة الشح وسيطرة المال وتطهير للمجتمع من الحقد ونوازع الشر . وقد قال تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) (التوبة/١٠٣) والحكمة من فرضيتها ــ على ما فيها من تطهير النفس وتنمية المال ــ هى تقوية الروابط فى المجتمع الاسلامى، باعطاء الحق المعلوم ، للسائل والمحروم ، وبذلك يرتفع مستوى الفقراء ، فيصبحون أعضاء نافعين ومواطنين صالحين ، وتتقارب المسافة بينهم وبين الأغنياء ، فيصبح الجميع اسرة واحدة ، متكافلة متعاونة على الخير وتحقيق الصالح العام ، ومن هنا ، تذكر الزكاة بعد الصلاة ، حيث اجتمعتا فى القرآن والسنة ، لأن الصلاة ، تنظم صلة الانسان بربه ، ومتى تم له ذلك ، جاءت الزكاة ، لتنظم صلته بالمجتمع الذى يعيش فيه .. ومن أجل أن المال شقيق الروح ، كانت مغالبة النفس ، والانتصار عليها باخراج المال المحبوب لها ، اقوى برهان على قوة الإيمان وقد حث الله تعالى على إيتاء الزكاة ، ومدح الذين يؤدونها ، وبشرهم بالفوز والفلاح **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون**) (المؤمنون/١ــ٤) . واكد الرسول صلى الله عليه وسلم وجوب اخراج الزكاة ، وتوعد الذين يبخلون بها فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بالقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا ، أو عروا ، الا بما يصنع أغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا اليما» رواه الطبرانى . ولقد قاتل أبو بكر رضى الله عنه الذين امتنعوا أيام خلافته عن أدائها ، واكد ذلك فى

كلمته المأثورة : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول اللــه صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » وحسب الــذين يستهينون بالزكـــاة رادعا ، قول اللـــه عز وجـــل فى المشركين **(وويل للمشركين الــذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخــرة هــم كافرون)** (فصلت/٦ــ٧) فقد جمعت الآية بين مانعى الزكـــاة والمشركين باللـــه !

وتصـــل الرحـــم :

أمر الاســـلام بصلة الرحم ، لأنـــه حريص على وحدة المجتمع وسلامته ، وعلى أن تسود علاقات المســلمين بعضهم ببعض روح المودة والتعاون ، ودعامة المجتمع الأسرة ، فاذا كانت قوية مترابطة ، نهض المجتمع عـــلى أساســـها عـــالى البنيـــان مشدود الأركان .

والرحم ، قرابة الانسان وأهله ، مأخوذة : من « الرحم » الذى هو وعاء الجنين فى بطن أمه ، وأعلى القرابة هم من جمعهم رحم أم واحدة كالإخوة والأخوات ، ولكن صـــــلة الرحم تشمل الأقارب مطلقا ، وهم من بينهم وبين الانسان نسب ســواء كانوا يرثونه أم لا يرثونه ، وصـــلة الرحم معناها البر بهـــم ، والعطف عليهم ، والإحسان اليهـــم ، وذلك بحسب حالهم ، وعلى مقدار حاجتهم ، وبقدر ما تسمح به طاقة الواصل . فقد تكون صلة الرحم بالانفاق عليهم إن كانوا فقراء ، ونصرتهم ان كانوا ضعفاء ، وتعهدهم بالتربية والتوجيه إن كانوا فى حاجة الى الرعـــاية ، وهكذا تتسع دائرة الصلة ، فتشمل علاجهم اذا مرضوا ، والسؤال عنهم وزيارتهم إذا غابوا ، ومواساتهم إن نزلت بهم نقمة ، ومشاركتهم أفراحهم إن اصابتهم نعمة **(وأولو الأرحـــام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله)** الأنفال/٧٥) .

ولصلة الرحم منزلة عنـــد الله سامية ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ، قال الله تعالى: « أنا اللـــه وأنا الرحمـــن ، **خلقت** الرحـــم ، وشققت لها من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعهـــا قطعته » رواه الترمذى وغيره .

كما بين صلى الله عليه وسلم أن لصلة الرحم آثارها الطيبة فى هذه الحياة ، ففيها طول العمر ، وســعة الرزق ، ودفع المكروه . يقول صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يمد له فى عمره ، ويوسع له فى رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء ، فليتق الله ، وليصل رحمه » رواه أحمـــد ، وقد توعد الرسول الكريم قاطع الرحـــم بالحرمان من رضوان الله ونعيم الجنة فقال عليه صلوات الله وسلامه : « لا يدخل الجنة قاطع » .

وصلة الرحم لا تأخذ مكانها فـــى ميزان الله ، الا اذا كانت خالصـــة من شوائب الغرض ، وجواذب المنفعة لا يراد بها الا وجه الله تعالى ، أمـــا الذين يصلون أرحامهم ، لقاء مكافأة يتلقونها منهم ، واحسان يعود عليهم

فلا ثواب لهم على هذه الصلة ، لأنهم طلاب دنيا ، وتجار مادة !! اما الصلة حين يقطع القريب ويهجر ، فهى التى ترفع صاحبها عند الله درجات ، يقول صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » رواه البخارى .

واعلى درجات صلة الرحم ، بر الوالدين ، وقد قرن الله تعالى برهما بعبادته سبحانه **(وقضى ربك الا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا)** (الاسراء/٢٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « رضا الرب فى رضا الوالد ، وسخط الرب فى سخط الوالد » رواه الترمذى — وأما قول الرسول فى نهاية الحديث : ذرها فمعناه : خل بين الناقة وبين طريقها ، وكان الرجل قد استوقفها ممسكا بزمامها ..

ومن عجيب أمر الاسلام وحرصه على بر الوالدين ، أنه أمر ببرهما حتى بعد موتهما ، فقد روى أبو داود والبيهقى بسند صالح أن رجلا من بنى سلمة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « نعم ، الصلاة عليهما — أى الدعاء لهما — والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ، واكرام صديقهما » كذلك أوجب الاسلام البر بالوالدين ، ولو كانا كافرين ! **(وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)** (لقمان / ١٥) وقد روى الشيخان عن أسماء رضى الله عنها قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم قلت : ان أمى قدمت وهى راغبة ، افأصل أمى ؟ قال : « نعم ، صلى أمك » !

وهكذا يعلمنا الرسول الكريم بهذا الهدى النبوى الذى ساقه الينا فى الحديث الشريف ، كيف نحرر عقولنا بعبادة الله لا نشرك به أحدا سواه ، وكيف نطهر أرواحنا بالصلاة ، وأموالنا بالزكاة ، وكيف نبنى الأسرة المسلمة ، على الحب والتواصل لوجه الله . وبهذا يرسم لنا رسولنا العظيم بهذه المبادىء القويمة ، الطريق الى الجنة ، ليحفز همم المسلمين الى التسابق اليها ، والمسارعة الى رضوان الله فيها ، والجنة : هى معقد الرجاء لكل مسلم والغاية التى يطمح اليها كل مؤمن ، وهى سلعة الله الغالية ، وفى سبيلها يهون كل صعب ويرخص كل غال ، ويطيب كل سعى ، **(وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)** (سورة المطففين/٢٦) .



للدكتور : محمد سلام مدكور

القرآن : مصدر قرأ قراءة وقرآنا ، فهو مصدر على وزن فعلان بضم الفاء كالغفران وسمي به المفرد تسمية للمفعول بالمصدر ، وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فصار له كالعلم الشخصي، ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن ، وعلى كل آية من آياته .

وقد سماه الله سبحانه بأسماء كثيرة منها : القرآن ، ومنها القرآن ، ومنها الكتاب ومنها الذكر ومنها التنزيل . ومن ذلك قوله سبحانه : « **... لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ...** » الفرقان من الآية / ٣٧ . وقوله : « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** » البقرة/٢ وقوله : « **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** » الفرقان/١ وقوله : « **.. تنزيل من حكيم حميد** » فصلت من الآية / ٤٢ وقوله : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » الحجر من الآية / .

لكن غلب عليه اسم القرآن واسم الكتاب وتكررت هذه التسمية كثيرا ، وقد يكون فى هذه التسمية الغالبة انه يكون مقروءا أو مكتوبا ، وفى هذا اشارة الى وجوب حفظه فى الصدور وكتابته فى السطور حتى يتحقق وعد الله سبحانه بحفظه دون أن يتعرض لأى تحريف . وصدق الله: « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » . وفعلا فقد حفظه الله جيلا بعد جيل وحتى الآن دون أن يدخل عليه اى نقص أو زيادة أو تحريف أو تبديل . واذا كان [وليم موير] يقول : إن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل اثنى عشر قرنا كاملة .. فاننا نؤكد له أنه سيظل محفوظا ما بقيت الحياة رغم محاولات الاسرائيليين التى باءت بالفشل . مصداقا لقول الله سبحانه : « **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ..** » الانعام / من الآية ١١٥ .

والقرآن هو دستور البشرية الخالد ، نور الله فى أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود فى دولة الارض الى أن تدول ، وهو سلاحنا الماضى وقوتنا التى لا تغلب ، خاطب القلوب

التشريع الاسلامي

بالموعظة والعقول بالدليل والبرهان، هو كتاب تشريع وتنظيم لمجتمع متكامل ، وكتاب بلاغة وادب ، وفضلا عن انه لم يرد على انه كتاب يقرر نظريات فى شتى النواحى العلمية كالطبيعة والفلك والطب فانه اذا تعرضت آياته لشىء من ذلك عرضا فى ثنايا تقرير حكم عقائدى مثلا تجد العلم الحديث يكشف دائما عن سبق القرآن فى كل ما يصل اليه . فهو قد اتى بأصول العلوم وترك الباب مفتوحا للمشتغلين بالعلوم المختلفة .

وحسبنا فيه ما وصفه به الرسول الكريم اذ يقول فى حديث طويل أخرجه الترمذى عن الحارث بن الاعور : (.. فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تتشعب معه الآراء لا يشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) .

اعجاز القرآن :

والواقع ان القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ . فهو معجز فى الفاظه واسلوبه وبيان نظمه مع أنه لم يخرج عن سنن كلام العرب الذين تحداهم به فعجزوا عن ان يأتوا بمثل أقصر سورة منه . لم يخرج عن سنن كلامهم الفاظا وحروفا وتركيبا واسلوبا ، ولكنه فى اتساق حروفه وطلاوة عبارته وحلاوة أساليبه وجرس آياته نسيج وحده . وهو معجز بعلومه ومعارفه من ناحية حثه على التفكير والتدبر ومخاطبة العقول . فهو يجعل التفكير السديد والنظر الصائب فى الكون أعظم وسيلة للايمان ، وهو معجز فى تشريعه وصيانته لحقوق الانسان فلم يترك جانبا من جوانب الحياة الا وتحدث عنه أو أشار اليه . كما لم يدع امرا من أمور الغيب الا بينه والمح اليه ، كما أنه يتقصى أبعد الجوانب فى القلب الانسانى فيتغلغل فيها بنظرة تلمس أدق الانفعالات فيها ، وهو يتجه نحو ماضى الانسانية البعيد ومستقبلها ، كما يعلمها واجبات الحياة .

القرآن من عند الله باللفظ العربى :

والقرآن من عند الله سبحانه

بلفظه ومعناه ولذا فانه يتعبد بتلاوته ويجزىء فى الصلاة ولا يجوز بحال تبديل لفظ من الفاظه او حرف من حروفه مهما كان التبديل لا يؤثر فى المعنى . يقول الله سبحانه : ((**أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**)) يوسف/٢ .

وكون القرآن عربيا لا يمنع من وجود بعض الفاظ فيه يختلف المفسرون فى أصلها مثل (قسورة) فى قوله تعالى : ((**فرت من قسورة**)) المدثر/٥١ . فقد روى ابن عباس : ان اصلها حبشى بمعنى الأسد ، وهكذا الفاظ كثيرة وردت فى القرآن .. قال السيوطى أنها تجاوزت المائة .

يقول الغزالى : ان اشتمال القرآن على بعض الفاظ اصلها اعجمى وعربت واستعملها العرب من قبل نزول القرآن لا يخرج القرآن عن كونه عربيا ولا شك أن العرب من أقدم الامم وان لغتهم من أقدم اللغات وأنهم اختلطوا بغيرهم اختلاطا واسعا فلا مانع ايضا من أن تكون هذه الكلمات عربية الاصل وأخذتها بعض الامم الاخرى عن العربية ، ولذا فان الشافعى يقول : إن أحدا لم يقل أنه أحاط بجميع ألفاظ العربية .

كيفية نزول القرآن وزمنه :

وقد ورد فى كيفية تنزيل القرآن بلفظ عربى طريقتان : أحدهما أن النبى صلى الله عليه وسلم انخلع من صورته البشرية الى صورة ملائكية وأخذه من جبريل . الثانى : ان الملك إنخلع الى البشرية حتى أخذه الرسول منه . والله تعالى قادر على أن يخلق لمن يشاء من عباده علما ضروريا بكلامه من غير توسط حرف وصوت ودلالة . فكلامه سبحانه يختلف عن كلامنا . سبحانه : ((**.. ليس كمثله شىء . وهو السميع البصير**)) الشورى من الآية/١١ .

وقد ثبت انه نزل فى ليلة القدر من شهر رمضان ، ويروى ابن عباس أن القرآن نزل جملة واحدة الى السماء الدنيا فى هذه الليلة ثم نزل بعد ذلك منجما على رسولنا الامين . ويروى الشعبى أن ابتداء نزول القرآن على الرسول كان فى تلك الليلة ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والمناسبات فليس للقرآن سوى نزول واحد .

وعلى كل فقد نزل القرآن منجما دفاعا عن عقيدة وتقريرا لحقيقة وبيانا لحكم أو جوابا عن سؤال أو استفتاء، وكان ينزل أحيانا بالسورة الكاملة وأحيانا بالآية أو الآيتين أو الثلاث .

والحكمة من نزول القرآن منجما تثبيت فؤاد الرسول على الحق وشحذ عزمه للمضى فى دعوته فكلما اشتد المه لتكذيب قومه له نزل شىء من القرآن ناصرا له ومؤيدا . يقول الله سبحانه : ((**... كذلك لنثبت به فؤادك ..**)) الفرقان من الآية/٣١ .

كما أن فى ذلك ما يساعد على تكرار التحدى به وتحقق الاعجاز فضلا عما فيه من التيسير على الرسول والناس فى حفظه وتدبر معانيه ، كما أن فى ذلك ما يجعله مسايرا للحوادث ، ويجعل التشريع متدرجا فلا يشق على الناس أيضا .

وكان نزول القرآن فى أكثر من اثنتين وعشرين سنة فى مكة والمدينة واستمرت فترة نزوله بمكة نحو ثلاث عشرة سنة نزل فيها اقل من الثلثين بقليل ، وكانت أغلب آياته فى هذه الفترة توجه الناس الى عقيدة التوحيد ، وطابع الآيات المكية : القصر

والايجاز ليسهل على السامع وعيها ، ولتكون لها من نغم الترتيل ما يجعلها أوقع فى التأثير وخاصة أنها تخاطب فى الانسان العقل العاطفة والوجدان، كما تتميز بقوة العارضة الجدلية .

وكانت فترة نزوله بالمدينة نحو عشر سنوات نزل فيها نحو ثلث القرآن وكان أكثر ما نزل فيها يتعلق بالتشريع ، وتتميز الآيات المدنية بالطول غالبا اذ أن آيات التقنين تحتاج الى تبصر لاستنباط الاحكام منها ، فوق ما يلزم من طول لبيان علة الحكم .

ترجمة القرآن والتعبد بها واستنباط الاحكام منها :

الترجمة تطلق على معنيين :

١ ــ الترجمة الحرفية : وهذه لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الاصل والاحاطة بجميع معناه وخاصة بالنسبة للقرآن ، فان فيه من خواص التركيب وأسرار الاساليب ما أعجز بلغاء العرب . وعلى هذا فالترجمة الحرفية تخرجه عن كونه قرآنا مهما بلغت دقتها .

٢ ــ الترجمة التفسيرية : وهى ترجمة معنى الكلام حسب مفهوم المفسر . وهذا أمر مستساغ بل هو واجب يقتضيه العمل على تبليغ الدعوة للناس كافة اذ ليس من اليسير أن نكلف كل من ندعوه الى الاسلام أن يتعلم اللغة العربية أولا . يقول الشاطبى : ان ترجمة القرآن من حيث معانيه الاصلية التى يستوى فى فهمها كل من عرف مدلولات الالفاظ وعرف وجوه تركيبها ممكن . ولذا فانه صح تفسير القرآن وبيان معانيه للعامة اتفاقا . وهذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الاصلى .

وعلى هذا فيجب ترجمة تفسير منتخب للقرآن الى جميع اللغات المختلفة حتى يتدبر الجميع ما فيه من معان وما جاء به من أحكام بقدر المستطاع . وفعلا فان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية شكل لجنة من أفاضل العلماء فوضعت تفسيرا مناسبا منتقى بعيدا عن الاستطراد والحشو وعن عرض الخلافات والمناقشات اللفظية . كما شكل لجنة لترجمة هذا التفسير المنتخب الى بعض اللغات الحية . وهو عمل مشكور نرى أنه ينبغى للدول العربية والاسلامية أن تتعاون فيه حتى يمكن ترجمته الى كل اللغات .

والترجمة أيا كانت لا يصح الاعتماد عليها فى استنباط الاحكام، وما ذلك الا لأن فهم المراد من الآية يحتمل الخطأ لمن يعرف العربية ، ثم نقل ذلك المفهوم الى لغة أخرى قد يحتمل الخطأ اذ قد يؤدى الى أكثر من معنى لأنه من قبيل المشترك أو باعتبار حمله على الحقيقة أو المجاز ، الى ما فيه من عموم واطلاق واجمال واحتمال وغير ذلك .

والجمهور من الفقهاء لا يجيزون القراءة فى الصلاة بغير العربية مطلقا لأن الترجمة ليست قرآنا بحال ولا يلزم العاجز عن القراءة الا مجرد ذكر الله يقول الحافظ بن حجر : ان كان القارىء قادرا على التلاوة باللسان العربى فلا يجوز له العدول عنه ولا تجزىء صلاته بغير العربية، وان كان عاجزا فان العاجز لا يلزمه الا الذكر .

أما الحنفية فانهم يجيزون لغير القادر على القراءة بالعربية القراءة بغير العربية حتى فى الصلاة لانه قرآن من وجه باعتبار اشتماله على المعنى المفهوم . فالاتيان به أولى من الترك مطلقا .

القرآن من حيث الثبوت :

القرآن من حيث الثبوت مقطوع بقرآنيته لأن كل آية منه كان الرسول يعيها ويحفظها ويمليها على بعض الكتاب من أصحابه ممن عرفوا بعد بكتاب الوحى ، وحفظه الصحابة أيضا فى الصدور — وقد عرف العرب بقوة الحافظة — فضلا عن أنهم كانوا يتعبدون به ، وتناقله الناس حفظا وتلاوة وكتابة جيلا بعد جيل وحتى الآن .

واذا كان بعض الصحابة كعبد الله ابن مسعود عندما قرأ آية ((..**فصيام ثلاثة أيام ...**)) المائدة من الآية / ٨٩ ، فهم من النبى صلى الله عليه وسلم أن صيام هذه الأيام الثلاثة يجب أن يكون متتابعا دون فاصل بينها بأيام فطر فأضاف عند كتابتها كلمة [متتابعات] بقصد اظهار الحكم . فان هذه الزيادة لا تسمى قرآنا ولا يحتج بها . خلافا للحنفية الذين يرون الاحتجاج بها وان لم تكن قرآنا ، لأنها شبيهة بالسنة لأنها مترددة بين أن تكون خبرا أخبر به ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو مذهبا لابن مسعود . وعلى كلا الوجهين فهى حجة لانه ثقة وفقيه .

ومن هذا القبيل أيضا كلمة [ذى رحم محرم] التى ذكرها ابن مسعود وقيد بها الوارث فىآية : ((**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملان لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ..**)) .. الى قوله تعالى : ((**وعلى الوارث مثل ذلك ..**)) البقرة / ٢٣٣ . فقد قيد ابن مسعود الوارث هنا بأنه ذو الرحم المحرم .

ومن هذا القبيل أيضا ما أثبته أبى بن كعب فى مصحفه عند قول الله سبحانه وتعالى : ((.. **وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او أخت ..**)) النساء من الآية/١٢ فقيد الاخ والأخت هنا بأنهما من الأم .

فكل هذا لا يعتبر قرآنا اتفاقا ولا يحكم بكفر من ينكر هذه الزيادة ولا تصح الصلاة بها اتفاقا ، كما لا يصح الاحتجاج بها عند الجمهور خلافا للحنفية على ما قلنا . لأن كلا من ابن مسعود وأبى بن كعب اما أن يكون سمع ذلك القيد من الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه بيان وتفسير واما ان يكون ذلك باجتهاد منهم حملا للنص المطلق على نص آخر فى القرآن مقيد .

القرآن من ناحية دلالته على الاحكام :

الفاظ القرآن منها ما هو واضح فى دلالته على المراد منه بنفس صيغته من غير توقف على أمر خارجى، وكل نص واضح الدلالة يجب العمل بما هو واضح الدلالة عليه . ولا يصح تأويل ما يحتمل التأويل منه الا بدليل وذلك مثل قوله تعالى : ((**ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد**)) النساء/١٢ فان دلالة الآية على أن نصيب الزوج فى تركة زوجته فى هذه الحالة النصف قطعية اذ كلمة نصف واضحة الدلالة على المراد فلا يكون هناك مجال أبدا للاختلاف فى مدلولها .

واذا كان اللفظ يحتمل التأويل والمراد منه ليس هو المقصود أصالة من سياقه سمى بالظاهر ومن ذلك قوله تعالى : ((**فانكحوا ما طاب لكم من النساء**)) النساء/٣ فالنص ظاهر فى اباحة نكاح ما حل من النساء لأنه معنى يتبادر فهمه من لفظ : ((**فانكحوا ما طاب لكم**)) .. من غير توقف على قرينة . وهذا المعنى غير مقصود أصالة . اذ المقصود هنا :

قصر العدد على الواحدة مع اباحة التعدد الى اربع عند القدرة والعدالة .

وان كان اللفظ يحتمل التأويل والمراد منه هو المقصود من سياقه سمى بالنص . ففى الآية السابقة الكلام مسوق لبيان العدد الجائز جمعه فى العصمة بدليل قوله تعالى : ((**فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة**)) النساء/٣ فتكون نصا فى افادة العدد وان اعتبرت الآية من ناحية اباحة التعدد من قبيل الظاهر .

وان كان اللفظ لا يحتمل التأويل ويقبل حكمه النسخ سمى مفسرا مثل كلمة ثمانين فى قوله تعالى فى حد القذف ((**فاجلدوهم ثمانين جلدة**)) فان العدد لا يحتمل زيادة ولا نقصا .

وان كان اللفظ لا يحتمل التأويل ولا يقبل كلمة النسخ سمى بالحكم . لأن الحكم المستفاد منه : اما حكم أساسى من قواعد الدين لا يقبل التبديل كالايمان بالله ، أو من أمهات الفضائل التى لا تختلف باختلاف الاحوال : كبر الوالدين ، أو من الاحكام الفرعية التى دل الشارع على دوامها كقوله تعالى فى عقوبة القذف ((**ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا**)) النور/٤ .

فأساس التفاوت فى مراتب الوضوح : هو احتمال التأويل وعدم احتماله فما لا يحتمل أن يفهم منه معنى آخر أوضح دلالة مما يحتمل أن يفهم منه معنى آخر غيره . فأوضحها على الاطلاق المحكم ، ويليه المفسر ، فالنص ، وأقلها وضوحا هو الظاهر .

ومن الفاظ القرآن ما هو غير واضح الدلالة فلا يدل على المراد منه بنفس صيغته بل يتوقف فهم المراد منه على أمر خارجى ، والالفاظ من ناحية عدم الوضوح متفاوتة أيضا وأساس تفاوتها فى عدم الوضوح هو مدى القدرة على ازالة ما فيها من خفاء .

فان كان اللفظ يدل على معناه دلالة ظاهرة ولكن فى انطباق معناه على بعض الافراد نوع خفاء تحتاج ازالته الى تأمل سمى : خفيا ومن ذلك لفظ (السارق) فى قوله تعالى : ((**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ..**)) المائدة/٣٨ فان معناه ظاهر فى أخذ مال الغير خفية من حرز . لكن فى دلالة اللفظ على (النباش) الذى ينبش القبور لاخذ اكفان الموتى ، والنشال الذى يأخذ ما مع الشخص المتيقظ فى غفلة منه . شىء من الخفاء لاختصاص كل منها باسم خاص غير اسم السارق . مما يجعل دلالة لفظ السارق على كل منهما خفية وتحتاج فى ازالة الخفاء الى نظر وتأمل .

وان كان اللفظ خفيت دلالته على المعنى المراد منه بسبب فى نفس اللفظ لاحتماله لاكثر من معنى واحد ولا بد من وجود قرينة تبين المراد سمى بالمشكل .. ومن ذلك لفظ (قرء) فى قوله تعالى : ((**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**)) البقرة/٢٢٨ فان لفظ (قرء) مشكل فى الدلالة على المراد لأنه موضوع فى أصل اللغة لكل من الطهر والحيض . ولذا فان الأمر اشكل على الفقهاء فى عدة المطلقة من ذوات الحيض هل هى ثلاثة أطهار أم ثلاث حيضات .

وان كان اللفظ لا يدل بصيغته على المراد منه ولا توجد قرينة تعين المراد ولا مجال للعقل فى ادراكه ويتوقف ادراكه على بيان من الشارع نفسه الذى أجمله سمى مجملا . ومن ذلك كلمة هلوع فى قوله تعالى :

((**ان الانســـــان خلق هلوعا**)) المعارج/١٩ ومثل كلمة صلاة وصوم وزكاة وربا من الالفاظ الاصطلاحيه التى نقلها الشارع من معانيهـــا اللغوية الى معان خاصة لا تدرك الا ببيان من المشرع .

وان كان اللفظ لا تدل صيغته على المعنى المراد منه وتعذرت معرفتـــه ولم توجد قرينة تعين على معرفته ولم يبينه الشارع لنا وانما استأثر بعلمه سمى متشـــابها . وذلك مثل أوائل بعض السور ، وكالالفاظ الواردة فى القــــرآن التى تنسب الوجه واليـد والجلوس الى الله ((**يد الله فـــوق أيديهم**)) الفتح/١٠ ، ((**كل شيء هالك الا وجهه**)) القصص/٨٨ ، ((**الرحمن على العرش اســـتوى**)) طه/٥ ، ((**واصنع الفلك باعيننا**)) هود/٣٧ .

ومن الواضح أن أكثر هذه الالفاظ فى عدم الوضوح هو المتشابه الذى لم يبينه الله وانما اســـتأثر بعلمه ويليه فى ذلك المجمل الـــذى بينت السنة ما فيه من اجمال . ثم المشكل . ثم الخفي .

أعمال النص بمفهومه ومنطوقه :

والاصوليون يوجبون العمل بكل ما تدل عليه آيات الاحكام بعبـــاراتها وحروفها ، وما يفهم من اشارتها ، وما يفهم من روح النص ومنقوله وهو ما يسمى بدلالة النص أو مفهـــوم الموافقة كما يجب العمل بمقتضى النص الذى لا يستقيم الكلام الا بتقديره . اذ كلها طرق من طرق الدلالة التى قررتها اللغة . والاقتصــــار على بعض طرق الدلالة يعتبر تعطيلا من بعض الوجوه للنص وهو غير جائز . وقد بينا كل ذلك تفصيلا فى كتابنا ((أصــــول الفقـــه الاســـلامى)) وانا نكتفى هنا بهذا القدر من الكلام عن القرآن من ناحية الدلالة حيث ان المجال لا يتسع لاكثر من ذلك .

منهج القرآن فى بيان الاحكام :

والقرآن فى الغـــالب وقف عند القواعد الكلية دون تفصيل أو بيـــان وخاصة بالنسبة لمسائل المعـــاملات المالية وما يتعلق بالقضـــــاء وعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها فى السلم والحرب وما شابه ذلك مما يتغـــير بتغير البيئة . فان القرآن دل عليها بوجه عام حتى يكون ولاة الامر فى سعة من ان يفصـــلوا قوانينهم فيها بما يتفق مع مصــــالحهم فى حدود أسس التشريع .

والاحكام التى جاء بهـــا القرآن متنوعة فمنها احكام العقائد التى توجه ناحية الايمان ، ومنهــــا الاحكام الوجدانية التى تعمل على تهـــــذيب النفوس وتقويم الخلق، ومنها الاحكام العملية التى تتعلق بما يصـــدر عن المكلفين من اقوال وافعـــال على ما ذكرنا قبل .

ومنهج القرآن فى هذا متنوع حتى يكون أدعى الى القبول وابعث الـــى الامتثال . فله طرق فى بيان أوامره ونواهيه . فقد يكون الامر بالمضارع المقترن باللام : ((**وليخش الـــذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ..**)) النساء/٩ قد يكون بصيغة فعل الامر ((**عليكم أنفسكم ..**)) المائدة/١٠٥ وقد يكون بالمصدر الدال على الطلب ((**فضرب الرقاب ..**)) محمد/٤ وقد يكون بالجملة الخبرية ((**والوالدات يرضعن أولادهن ..**)) البقرة/٢٣٣ وكثيرا ما ترد بصيغة افعل ((**وأقيموا الصلاة ..**)) المزمل/٢٠ كما يـــكون ببيان ما فى الشيء من خير ، أو ما يترتب عليه من خير ((**ولئن صـــبرتم لهو خير للصابرين**)) النحل/١٢٦ ، ((**ذلكم خير لكم**)) الجمعة/٩ .

ومن هذا تلمس تنوع الاســـاليب

وتحس فى ذلك بمتعة وحلاوة ، وتقبل بارتياح لكل هذه التكاليف من غير تبرم ودون استنكار لها أو استثقال . ومن وراء ذلك التنوع يجد الفقهاء مجالا فسيحا للنظر والتأمل عند استنباط الاحكام .

وقوع النسخ فى القرآن وموقف الفقهاء من ذلك :

من معانى النسخ فى اللغة الإزالة والابطال ، كما يطلق على النقل والتحويل ، وقيل إنه مشترك بين هذين المعنيين . وفى اصطلاح الفقهاء والاصوليين يعرف بعدة تعريفات منها أنه : رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر .

ولم يخالف فى اثبات النسخ من ارباب الشرائع سوى اليهود ، كما لم يخالف فى اثباته من المسلمين سوى أبى مسلم الاصفهانى محتجا بقوله تعالى فى سورة فصلت : **« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. »** فلو نسخ بعض القرآن لتطرق اليه البطلان وهذا محال .

لكن يرد هذا قوله تعالى فى سورة **« ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها »** البقرة/١٠٦ ، وبما وقع فعلا : فقد كانت القبلة أولا الى بيت المقدس ثم نسخ ذلك واصبحت القبلة هى الكعبة : **« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب .. »** البقرة/١٤٢ الى قوله جل شأنه **« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام »** البقرة/١٤٤ .

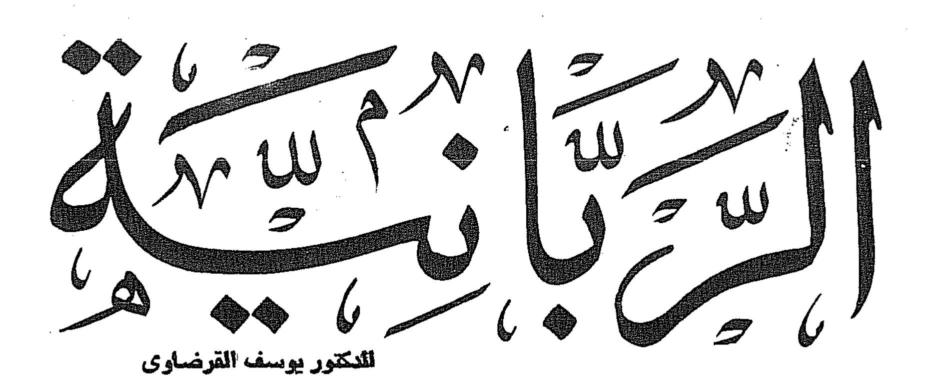
كما أن الحكم كان تقديم الصدقة حين مناجاة الرسول كما يدل على ذلك قوله تعالى فى سورة المجادلة : **« يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة »** المجادلة/١٢ . لكن ذلك الحكم نسخ بقوله تعالى بعد ذلك : **« أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله »** المجادلة/١٣

وقد يكون النسخ كليا بالنسبة الى كل الافراد كابطال اعتداد المتوفى عنها زوجها حولا وتكليفها بأن تعتد بأربعة أشهر وعشرة أيام . فقد كان النص الواجب تطبيقه هو قوله تعالى فى سورة البقرة : **« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول .. »** البقرة / ٢٤٠ وجاء قوله تعالى فى نفس السورة : **« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا »** البقرة/٢٣٤ .

كما يكون النسخ جزئيا بالنسبة لبعض الافراد ومن ذلك نسخ حكم القذف بالنسبة للازواج بتشريع اللعان . وكما يكون النسخ صريحا فانه ضمنيا يفهم من تشريع حكم متأخر معارض لحكم متقدم مع تعذر التوفيق بين النصين الا بالغاء أحدهما على ما بيناه فى كتابنا « أصول الفقه الاسلامى » .

ولا خلاف بين القائلين بالنسخ فى أن القرآن ينسخ بعضه بعضا ، وكذلك بالنسبة لكل من الخبر المتواتر وخبر الآحاد من السنة . لكنهم اختلفوا فى نسخ القرآن بغيره ، كما اختلفوا فى نسخ المتواتر من السنة بالآحاد ، كما أن الشافعى منع نسخ القرآن بالسنة مطلقا ونسخ السنة بالقرآن أيضا على ما سنبينه فى مقال آخر عن السنة باعتبارها المصدر الثانى للتشريع الاسلامى .

من الخصائص العامة للإسلام



الدكتور يوسف القرضاوى

تحدثنا فى العدد الماضى عن المعنى الأول للربانية : وهو ربانية الغاية والوجهة ومالها من آثار فى النفس وفى الحياة . واليوم نتحدث عن :

ربانيـــة المصـــدر والمنهج :

المعنى الثانى للربانية : وهو ربانية المصدر والمنهج . ونعنى به ان المنهاج الذى رسمه الاسلام للوصول الى غاياته واهدافه منهج ربانى خالص ، لأن مصدره وحى الله تعالى الى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم .

لم يأت هذا المنهاج نتيجة لارادة فرد ، او ارادة اسرة ، او ارادة طبقة ، او ارادة حزب ، او ارادة شعب ، وانما جاء نتيجة لارادة الله ، الذى اراد به الهدى والنور ، والبيـــان والبشرى ، والشفاء والرحمة لعباده . كما قال تعالى يخاطبهم : ((**يايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا**)) النساء ١٧٤ ، ((**يايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**)) يونس ٥٧ .

وقال يخاطب رسوله :

((**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**)) . الانبياء ١٠٧ .

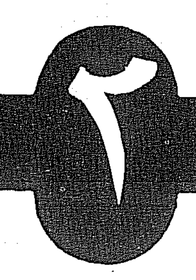
((**... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمـــة وبشرى للمسلمين**)) . النحل من الآية ٨٩ .

((**كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد**)) . ابراهيم . الآية / ١ .

موضع الرسول من هذا المنهاج الالهى :

الله تعالى هو صاحب هذا المنهاج ، ولهذا يضاف اليه فيقال : المنهاج الله او ((صراط الله)) علـــى حـــد تعبير القـــرآن العزيز . واضافته الى الله تعنى أن الله ــ جل شأنه ــ هو واضعه ومحدده ، كما أنه غايته ومنتهاه .

أما الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو الداعى الى هذا المنهاج او هذا الصراط ، المبين للناس ما اشتبه عليهم من أمره . يقول تعالى يخاطب رسوله : ((**وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط**



مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض الا الى الله تصير الأمور » . الشورى ٥٢ ، ٥٣ .

ويقول تعالى : « **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى انى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ؟! »** يونس ١٥ ، ١٦ .

ويقول : « **والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى »** . النجم ١ — ٤ .

ومن تدبر القرآن وجد الرسول — صلى الله عليه وسلم — فيه مجرد عبد مأمور تخاطبه سلطة أعلى منه ، محيطة به ، قادرة عليه ، تملك عتابه ولومه اذا اجتهد فأخطأ فى بعض الأمور ، كما فى قصة ابن أم مكتوم ، وأسرى بدر ، والمنافقين المتخلفين فى غزوة تبوك ، وزينب بنت جحش ، وغيرها . فالحقيقة ان القرآن هو كلام الله وحده وتنزيل رب العالمين .

فليس لمحمد — صلى الله عليه وسلم — من هذا القرآن الا التلقى والحفظ « **سنقرئك فلا تنسى »** الاعلى ٦ ، ثم التبليغ والدعوة : « **يايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته »** المائدة ٦٧ . ثم التفسير والبيان : « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون »** . النحل ٤٤ .

والسنة التى بينت القرآن ، هى نفسها وحى الهى ، ولكنه وحى غير متلو ولا معجز كالقرآن الكريم .

وما جاء فى هذه السنة عن طريق الاجتهاد ، فان الله تعالى لا يقره على الخطأ فيه ، بل ينزل الوحى مصححا ومصوبا .

ميزة الاسلام بين المناهج القائمة فى العالم :

ان الاسلام هو المنهج او المذهب أو النظام الوحيد فى العالم ، الذى مصدره كلمات الله وحدها ، غير محرفة ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر ، واغلاط البشر ، وانحرافات البشر .

والمناهج أو الأنظمة التى نراها فى العالم الى اليوم ثلاثة ، فيما عدا الاسلام طبعا :

١ — منهج أو مذهب أو نظام مدنى بشرى محض ، مصدره التفكير العقلى او الفلسفى لبشر فرد ، أو مجموعة من الأفراد كالشيوعية والراسمالية والوجودية ، وغيرها .

٢ — منهج أو نظام ديني بشري كذلك . مثل الديانة البوذية القائمة في الصين واليابان والهند والتي لا يعرف لها أصل الهي ، أو كتاب سماوي . فمصدرها إذن فكر بشري .

٣ — منهج أو مذهب ديني محرف ، فهو — وان كان الهيا في أصله — عملت فيه يد التحريف والتبديل ، فأدخلت فيه ما ليس منه ، وحذفت منه ما هو فيه ، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر ، فلم يبق ثمت ثقة بربانية مصدره ، وذلك كاليهودية والنصرانية ، بعد ثبوت التحريف في التوراة والانجيل نفسيهما، فضلا عما أضيف اليهما من شروح وتأويلات ومعلومات بشرية ، بدلت المراد من كلام الله .

أما الاسلام فهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخل البشر وتحريف البشر ، ذلك أن الله تعالى تولى حفظ كتابه ودستوره الأساسي بنفسه ، وهو القرآن المجيد ، وأعلن ذلك لنبيه ولأمته فقال : ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) . الحجر ٩

وكان وعد ربي حقا ، فقد صدقت القرون المتوالية — على رغم ما حل بالمسلمين فيها من كوارث مروعة ، ونوازل هائلة — هذه النبوءة القرآنية . وبقي القرآن ، كما أنزله الله ، وكما تلاه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما نقله عنه أصحابه ، وتلقاه عنهم من تبعهم باحسان . ولم تزل الأجيال تلـــو الأجيال تتوارثه وتتعبد بتلاوته وترتيله وحفظه وكتابته . ولا عجب أن ظل — كما كان — مكتوبا في المصاحف ، متلوا بالألسنة ، محفوظا في الصدور ، منقولا الينا نقلا حرفيا ، بنفس طريقة كتابته ، منذ عهد عثمان ، وبطريقـــة تلاوته ونطقه منذ العهد النبوي ، حتى أصوات الغنّ والمد والاظهار والادغام ، والاقلاب والاخفاء .

من ثمـــرات ربانيـــة المصـــدر :

واذا كان للربانية بالمعنى الأول — ربانية الغاية — تلك الثمرات والمزايا التي ذكرناها من قبل ، فان للربانية بالمعنى الثاني — ربانية المصدر والمنهج — مزايا وثمرات ، لعلها أعظم خطرا ، وأبعد اثرا .

وكل هذه المزايا والثمرات نتيجة لسبب واحد ، هو كمال الله تعالى ، صاحب هذا المنهاج ، ومصدره ، أما المناهج الأخرى ، فيلازمها نقص البشر وعجز البشر ، وقصور البشر .

١ — العصمة من التناقض والتطرف :

من هذه المزايا أو الآثار : العصمة من التناقض والاختلاف الذي تعانيه المناهج والأنظمة البشرية والمحرفة .

فالبشر — بطبيعتهم — يتناقضون ويختلفون من عصر الى عصر ، بل في العصر الواحد من زمن الى آخر ، ومن قطر الى قطر ، بل في القطر الواحد من اقليم الى آخر ، وفي الاقليم الواحد من بيئة الى أخرى ، وفي الأمة الواحدة من شعب الى آخر ، وفي الشعب الواحد من فئة الى اخرى ، وفي الفئـــة الواحدة من فرد الى آخر ، بل في الفرد الواحد من حالة الى اخرى ، ومن وقت الى آخر .

فكثيرا ما رأينا تفكير الفرد في مرحلة الشباب يناقض تفكيره في مرحلة

الكهولة ، أو الشيخوخة وكثيرا ما وجدنا آراءه ساعة الشدة والفقر ، تخالف آراءه فى ساعة الرخاء والغنى .

فاذا كانت هذه هى طبيعة العقل البشرى ، وضرورة تأثره بالزمان والمكان والأوضاع والأحوال ، فكيف نتصور براءته من التناقض والاختلاف فيما يضعه من مناهج للحياة ، سواء أكانت مناهج للتصور والاعتقاد ، أم للعمل والسلوك؟ ان الاختلاف والتناقض لازمة من لوازمه لا ريب . وصدق الله العظيم اذ يشير الى ذلك فيقول : « **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** » . النساء ٨٢ .

ومن مظاهر هذا التناقض ما نراه ونلمسه فى كل الأنظمة البشرية والدينية الوضعية والمحرفة، من إفراط أو تفريط ، كما هو واضح من موقفها من الروحية والمادية ، أو من الفردية والجماعية ، أو من الواقعية والمثالية ، أو من العقل والقلب ، أو من الثبات والتطور ، وغيرها من المتقابلات ، التى وقف كل مذهب او نظام عند طرف منها مغفلا الطرف الآخر ، او جائرا عليه :

والسر فى هذا — بعد القصور البشرى العام — أن تفكير الانسان فى وضع فلسفة أو منهاج ، أو مذهب ، غالبا ما يكون نتيجة — مباشرة أو غير مباشرة — لرد فعل ، وانعكاسا لأوضاع آنية واحوال بيئية ، تؤثر فى تصوره للأشياء ، وحكمه على الأمور ، شعر أو لم يشعر ، شاء أم لم يشأ .

ولا يستطيع منصف أن ينزه أكابر الفلاسفة — وان توافر فيهم الاخلاص فى طلب الحقيقة — من التأثر بأزمانهم وبيئاتهم ، فضلا عن التأثر بوراثاتهم وأمزجتهم الشخصية .

٢ — البراءة من التحيز والهوى :

ومن ثمرات هذه الربانية فى الاسلام : اشتماله على العدل المطلق ، وبراءته من التحيز والجور واتباع الهوى . مما لا يسلم منه بشر ، كائنا من كان .

اجل ، لا يخلو بشر غير معصوم — مهما يعل كعبه فى العلم والتقى — من التأثر بالأهواء والميول والنزعات الشخصية والأسرية والاقليمية والحزبية والقومية ، وان كان فى ظاهر أمره يرغب فى الانصاف ، ويحرص على الحياد .

فاذا كان لهذا البشر هوى معين ، أو ميول خاصة ، توجهه وتلون تفكيره وتميل بحكمه الى حيث يهوى ويحب ، فهذه هى الطامة ، فقد اجتمع فيها الهوى المتبع الى القصور البشرى الذاتى ، فزاد الطين بلة ، « **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** » . القصص ٥٠ .

وقد قال الله لنبيه داود : « **يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** » سورة ص آية ٢٦ .

وسبيل الله هو سبيل الحق والعدل ، المنزه عن التحيز والجور والانحراف .

ومقتضى ما ذكرناه : انه لا يسلم منهج أو نظام وضعه البشر أو تدخلوا فيه ، من التأثر بالأهواء المضلة عن سبيل الله ، المتحيزة الى جانب دون جانب ،

أو فريق دون فريق .

أما « نظام الله » أو « منهاج الله » فقد وضعه رب الناس للناس . وضعه من لا يتأثر بالزمان والمكان ، لأنه خالق الزمان والمكان ، ومن لا تحكمه الأهواء والنزعات ، لأنه المنزه عن الأهواء والنزعات . ومن لا يتحيز لجنس ولا لون ولا فريق ، لأنه رب الجميع ، وكلهم عباده ، فلا يتصور تحيزه لفئة دون أخرى ، ولا لجيل دون غيره ، ولا لشعب على حساب غيره من الشعوب .

ومن ثم اعتبر القرآن ما عدا شريعة الله وحكمه « أهواء » يجب الحذر منها ومن أصحابها . يقول تعالى لرسوله : « **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** »الجاثية ١٨ « **وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك .** » المائدة من الآية ٤٩ .

٣ ـــ الاحترام وسهولة الانقياد :

ومن ثمرات هذه الربانية كذلك انها تضفى على النظام أو المنهاج الربانى قدسية واحتراما لا يظفر بهما اى نظام او منهج من صنع البشر .

ومنشأ هذا الاحترام والتقديس اعتقاد المؤمن بكمال الله تعالى ، وتنزهه عن كل نقص ، فى خلقه وأمره . انه تعالى احسن كل شىء خلقه ، واتقن كل شىء صنعه ، كما قال فى كتابه « **صنع الله الذى أتقن كل شىء** » النمل وكذلك احكم كل شىء شرعه ، وكل كتاب أنزله ، كما قال تعالى عن القـــرآن الكريم « **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** » . هود الآية ١ .

فهو الحكيم فيما خلق وقدر ، والحكيم فيما أمر ونهى « **ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت .** » النمل من الآية ٨٨ ، ولا تجد فى شرع الرحمن من تهافت ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وأحكم الحاكمين .

ويتبع هذا الاحترام والتقديس : الرضا بكل تعاليم هذا النظام وأحكامه ، وتقبله بقبـــول حسن ، مع انشراح الصدر ، واقتناع العقل ، وطمأنينة القلب ، فهذا من موجبات الايمان بالله ورسوله « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمـــوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » . النساء / ٦٥ .

ويلزم من هذا الاحترام والتقديس وحسن القبول : المسارعة الى التنفيذ والسمع والطاعة فى المنشط والمكره ، دون تلكؤ أو تكاسل ، أو تحايـــل على الهرب من تكاليف النظام والتزاماته ، والتقيد بأوامره ونواهيه .

ونكتفى هنا بضرب مثلين يبينان مواقف المسلمين والمسلمات فى العهد النبوى ، من شرع الله تعالى وأمره ونهيه :

أولهمـــا : ما وقع من المؤمنين بالمدينة عقب تحريم الخمر .

وقد كان للعرب ولع بشربها واقداحها ومجالسها . وقد عرف الله ذلك منهم فأخذهم بسنة التدرج فى تحريمها ، حتى نزلت الآية الفاصلة تحرمهـــا تحريما باتا ، وتعلن أنها « **رجس من عمل الشيطان** » المائدة ٩٠. وبهذا حرم النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ شربها ، وبيعها ، واهداءها لغير المسلمين . فما كان من المسلمين حينذاك الا أن جاؤوا بما عندهم من مخزون الخمروأوعيتها فأراقوها فى طرق المدينة اعلانا عن براءتهم منها .

ومن عجيب امر الانقياد لشرع الله ان فريقا منهم حين بلغته هذه الآية كان منهم من فى يده الكأس ، قد شرب بعضها وبقى بعضها فى يده ، فرمى بها من فيه ، وقال — اجابة لقول الله (**فهل أنتم منتهون**) المائدة من الآية / ٩ قد انتهينا يا رب !

ولو وازنا هذا النصر المبين فى محاربة الخمر والقضاء عليها فى البيئة الاسلامية ، بالاخفاق الذريع الذى منيت به الولايات المتحدة الأمريكية ، حين ارادت يوما أن تحارب الخمر بالقوانين والأساطيل — لعرفنا ان البشر لا يصلحهم الا تشريع السماء ، الذى يعتمد على الضمير والايمان قبل الاعتماد على القوة والسلطان .

وثانيهما : موقف النساء المسلمات الأول مما حرم الله عليهن من تبرج الجاهلية ، وما أوجب عليهن من الاحتشام والتستر ، فقد كانت المرأة فى الجاهلية تمر كاشفة صدرها ، لا يواريه شىء ، وكثيرا ما اظهرت عنقها وذوائب شعرها ، وأقراط آذانها فحرم الله على المؤمنات تبرج الجاهلية الأولى ، وامرهن أن يتميزن عن نساء الجاهلية ويخالفن شعارهن ويلزمن الستر والأدب فى هيئاتهن وأحوالهن ، بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن ، أى يشددن اغطية رؤوسهن بحيث تغطى فتحة الثوب من الصدر ، فتوارى النحر والعنق والأذن .

وهنا تروى لنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كيف استقبل نساء المهاجرين والأنصار فى المجتمع الاسلامى الأول ، هذا التشريع الالهى ، الذى يتعلق بتغيير شىء هام فى حياة النساء ، وهو الهيئة والزينة والثياب .

قالت عائشة : يرحم الله نساء المهاجرين الأول .. لما انزل الله « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن ..** » شققن مروطهن — اكسية من صوف أو خز — فاختمرن بها ... رواه البخارى .

وجلس اليها بعض النساء يوما ، فذكرن نساء قريش وفضلهن ، فقالت :

« ان لنساء قريش لفضلا ، وانى والله ما رايت افضل من نساء الأنصار ، ولا أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل . لقد أنزلت سورة النور : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) فانقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل — المزخرف الذى فيه تصاوير — فاعتجرت به — شدته على رأسها — تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان » رواه ابن أبى حاتم .

هذا هو موقف النساء المؤمنات مما شرع الله لهن ، موقف المسارعة الى تنفيذ ما أمر ، واجتناب ما نهى ، بلا تردد ، ولا توقف ولا انتظار ، أجل لم ينتظرن يوما أو يومين أو أكثر حتى يشترين أو يخطن اكسية جديدة تلائم غطاء الرؤوس وتتسع لتضرب على الجيوب ، بل أى كساء وجد ، وأى لون تيسر ، فهو الملائم والموافق ، فان لم يوجد شققن من ثيابهن ومروطهن ، وشددنها على رؤوسهن ، غير مباليات بمظهرهن الذى يبدون به كأن على رؤوسهن الغربان ، كما وصفت أم المؤمنين .

٣ ــ الدور الثالث ــ عصر الخلافة الاموية :

يبتدىء هذا الدور بتنصيب معاوية ابن أبى سفيان خليفة على الدولة الاسلامية جميعها بعد وفاة على بن أبى طالب رضى الله عنه عام ٤٠ هـ . وينتهى بسقوط حكم بنى أمية واستيلاء العباسيين على الخلافة عام ١٣٢ هـ .

ويتميز هذا الدور باتساع رقعة البلاد الاسلامية ووصولها الى الصين شرقا وفرنسا غربا ، اتساعا سهل لكثير من الشعوب غير العربية مثل الفرس والروم وغيرهم الدخول فى الاسلام . وبذلك دخل فى جسم الدولة الاسلامية دماء متعددة جديدة الى جانب الدماء العربية ، ترفدها وتعضدها وتشد من أزرها .

وقد أمن هذا الاتساع للدولة الإسلامية مزيدا من الخبرات والمعارف والثقافة أدخلتها وحملتها معها الشعوب الاعجمية التى دخلت فى الاسلام . وفى هذه الخبرات والمعارف صناعات وعلوم متنوعة متعددة ، امتد أفقها الى الطب والهندسة ، والفلك وغيرها من العلوم الطبيعية والفلسفية . كما رافق ذلك نهضة كبرى فى كثير من العلوم الدينية والعربية كالتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة وغيرها مما دعت اليه الحاجة .

فلقد كثرت مسائل الناس ومشاكلهم فى هذا العصر وتعقدت علاقاتهم التجارية والصناعية .. ودخل المجتمع المسلم عادات وأعراف وأفكار لم يكن له بها عهد ، ولا بد من عرض كل ذلك على مصادر الاسلام



واستفتائها فيه ليتبين صحيح ذلك من زيفه . فان المسلمين لا يتقبلون جديدا الا اذا كان متمشيا مع دينهم وثقافتهم وتراثهم ، اما ما كان منه مخالفا لما عندهم ومعارضا له فانهم يرفضونه ولا يلتفتون اليه مهما كان مصدره ، ورحم الله القائل : « وزن بوزن الشرع كل خاطر » .

كل ذلك كان يلح على علماء المسلمين بالتفرغ لهذه المشاكل وهذه المسائل ودراستها وبيان حكم الاسلام فيها على ضوء نصوص القرآن والسنة وما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم . ذلك بعد أن كان العلماء يمارسون الوظائف السياسية والقيادية ، والمهن الحرة ، الى جانب اشتراكهم فى الفتوحات الإسلامية مع الجند جنبا الى جنب .

وتحت هذه المطالبة الملحة بالتفرغ للفكر والفتوى والقضاء والاجتهاد تفرغ بعض العلماء لذلك فى هذا العصر الأموى ، وبدأوا يتصدون للتدريس فى المساجد والجوامع والمدارس ويبذلون الجهد بما آتاهم من علم وذكاء وتقوى لاستنباط الاحكام من القرآن والسنة واجماع الصحابة — رضى الله تعالى عنهم — على ضوء اللغة العربية وأساليبها المتعددة تلك اللغة التى جاء بها القرآن والسنة .

وقد كثر هؤلاء العلماء يوما بعد يوم حتى غصت جوامع المسلمين بهم فى كل الحواضر الاسلامية ، مكة والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، ومصر ، وغيرها .

كما تعددت مذاهب هؤلاء العلماء وطرقهم فى فهم نصوص القرآن والسنة منبع الثقافة الاصيل لديهم تعدد أساليب اللغة العربية وطرق دلالة الفاظها على المعنى ، حيث فيها العام والخاص ، والمجمل والمفصل ، والمطلق والمقيد ، والمشكل والمتشابه والمشترك وغير ذلك .

ومع أواخر المئة الاولى من الهجرة بدأت هذه المذاهب تأخذ ابعادها وتتضح معالمها وتستبين مناهجها وتخصصاتها .

ولقد استمرت هذه الحركة العلمية فى مسيرتها طوال القرن الثانى والقرون التى بعده حيث تعددت المذاهب وانتشرت فى الآفاق وكثر أتباعها ومعتنقوها المدافعون عنها ، ثم بدأت تعقد المناقشات والمساجلات العلمية فى مختلف مجالات العلوم ، وكان يحضر هذه المناقشات كبار العلماء المتخصصين الى جانب جموع غفيرة من الطلاب ، وكثيرا ما كانت هذه المناقشات تعقد فى دار الخلافة فى الشام ثم بغداد بعدها تحت اشراف الخلفاء ، أو فى دور الامراء فى الأمصار الإسلامية . وكان لهذه المناقشات صداها وأبعادها العلمية ، فقد كانت الطريقة المثلى لفحص الافكار والقاء الاضواء عليها، ومن ثم نشرها فى انحاء البلاد على السنة العلماء والطلاب فى زمن لم تكن الطباعة ووسائل النشر الحديثة معروفة فيه .

وسوف نحاول فيما يلى القاء الضوء بإجمال على هذه العلوم التى نشأت فى هذا العصر ، والابعاد التى وصلت اليها ، ولكن لما كانت هذه العلوم كثيرة ومتشعبة والإلمام بها كلها يحتاج الى توسع وتفصيل ليس هذا محله ، فاننا سوف نقتصر

الكلام على علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، واصول الفقه ، وقواعد اللغة العربية تلك التى تعتبر أهم هذه العلوم وأبرزها فى تكوين الصرح العلمى والثقافى الاسلامى فى هذا العصر .

١ — علم التفسير فى العصر الأموى :

نقصد بالتفسير هنا تلك الدراسات والشروح التى دارت حول بيان المعنى المراد من ألفاظ القرآن الكريم ، وقد بزغ نجم هذا العلم فى زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — حيث كان يسأل عن معنى الآيات الكريمة التى غمض فهمها على بعض الصحابة فيجيب عن ذلك بما يوضح معنى الآية وأهدافها وابعادها . وبعد وفاة النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — تولى علماء الصحابة هذه المهمة ، فكانوا اذا عرضت لهم آية غمض عليهم معناها تتبعوا سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — علهم يجدون فيها التفسير الشافى فإذا عجزوا بذلوا جهدهم فى فهمها بحسب قواعد اللغة العربية التى أنزل القرآن بها . وكان اشهر مفسرى الصحابة عبد الله بن عباس الذى سماه النبى — صلى الله عليه وسلم — ترجمان القرآن . وهكذا كلما تقدمت الايام وبعد الزمن عن عصر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اشتدت الحاجة الى التفسير ، وكثر العلماء المتصدون لهذه المهمة . حتى اذا ما جاء العصر الاموى ، وترامت أطراف الدولة ، دخل عدد كبير من الاعاجم فى الاسلام ، واشتدت الحاجة الى تفسير القرآن وايضاح معانيه ، تفرغ عدد من العلماء لتفسير القرآن ونذروا أنفسهم له ، حتى أضاء نجمهم فيه . وتصدوا للافادة فى مختلف مساجد الدولة الاسلامية الكبيرة .

وممن بزغ نجمه فى هذا العلم من التابعين ، أصحاب عبد الله بن عباس — رضى الله عنهم — كمجاهد المتوفى سنة ١٠٣ هـ ، وعطاء بن أبى رياح المتوفى سنة ١١٤ هـ ، وعكرمة المتوفى سنة ١٠٥ هـ ، وطاووس المتوفى سنة ١٠٦ هـ . وسعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ هـ . وغيرهم . أما أتباع التابعين من المفسرين فهم كثيرون جدا نذكر منهم : سفيان بن عينيه ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، ويزيد بن هارون ، واسحق ابن راهويه ، وغيرهم .

الا أن جل التفسيرات التى صدرت عن علماء التابعين والصحابة قبلهم والتفسيرات التى صدرت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — لم تدون ولم تقعد فى مصنفات خاصة بها على النمط الذى نرى التفسير عليه اليوم ، ولكن جلها كان يتناقل مشافهة على السنة العلماء والطلاب فى دروسهم ومناقشاتهم ومساجلاتهم ، وقد استمر الامر على ذلك الى أول العصر العباسى حيث صنفت الكتب فى التفسير وظهرت المذاهب فيه جلية واضحة . ومما يلاحظ أن جل هذه التفسيرات التى كانت تأتى على لسان التابعين كانت تقف عند حد المنقول عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه دون الزيادة عليه الا ما كان من ذلك نذرا يسيرا ، أى انها

كانت تقف عند حد التفسير بالمأثور . كما كانت هذه التفسيرات تنقل عن النبي — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه بالسند المتصل ، شأنها في ذلك شأن السنة تماما ، ولذلك فانه كان من السهل تفحصها وتبين الصحيح منها من الضعيف ، الا أن هذه الطريقة لم تستمر طويلا ، فقد تغيرت في العصر العباسي لعدم كفايتها كما سوف نرى :

٢ — علم الحديث الشريف في العصر الأموي :

الحديث هو ما نقل عن النبي — صلى الله عليه وسلم — من قول أو فعل أو تقرير .

وقد كان الحديث في زمن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ينقل عنه مشافهة ويتداوله الصحابة كذلك ، ولما اراد بعض الصحابة كتابة الحديث نهاهم النبي — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك وقال : « من كتب عني غير القرآن فليمحه » رواه مسلم . وذلك خشية اختلاطه بالقرآن . الا أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يسمح لبعض الصحابة بشكل أفرادي بكتابة حديثه عندما يأمن عليهم اللبس مثل عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فقد روى عنه أنه قال : قلت لرسول الله — صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله اكتب كل ما أسمع منك ؟ قال : نعم . قلت : في الرضى والغضب ؟ قال : نعم ، فاني لا أقول في ذلك كله الا حقا » . وبقيت السنة على ذلك تتداول مشافهة الا نذرا منها يكتبه بعض العلماء لانفسهم الى عهد عمر ابن عبدالعزيز الخليفة الأموي المتوفى في آخر المئة الاولى للهجره ، حيث اشتد الخوف على ضياع السنة في ثنايا الاخبار الكثيرة التي بدأت تختلق على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقد أمر عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه — العلماء بكتابة السنة وجمعها من صدور الرجال . وقد وردت أخبار كثيرة عن تكليف هذا الخليفة العادل عددا من العلماء الثقات بكتابتها ، منهم أبو بكر ابن حزم المتوفى سنة ١٢٠ هـ . ومحمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ . وغيرهما .

ومنذ ذلك العهد تتابع العلماء على كتابة السنة والتصنيف فيها ، وتفننوا في طريقة تدوينها وبيان صحيحها من ضعيفها ، وقعدوا لذلك القواعد واقاموا علما خاصا سموه (علم مصطلح الحديث) . الا أن العصر الاموي هذا لم يشهد للسنة مدونات كبرى تجمعه جمعا مدرسيا مرتبا كما هو الحال في كتب الحديث التي بين أيدينا ، بل تأخر ذلك الى العهد العباسي حيث ظهرت المدونات الكبرى في الحديث كما سوف نرى .

٣ — علم الفقه في العصر الأموي :

الفقه كما عرفه الامام أبو حنيفة (معرفة النفس ما لها وما عليها) . أي معرفة ما لها من الحقوق ، وما عليها من الواجبات ؟ نحو نفسها ، ونحو ربها ، ونحو أسرتها ومجتمعها وغير ذلك ، لأنه به يتميز الحلال من الحرام ، ويستطيع الانسان أن يتبين معالم الطريق الى الله تعالى .

وقد بزغ فجر هذا العلم ببزوغ فجر الرسالة ، حيث كان النبي — صلى الله عليه وسلم — الفقيه الاول الذى يرجع اليه فى كل الامور والمسائل ليبين فيها وجه الصحة من الفساد وفقا لتعاليم القرآن الكريم ونصوصه وروحه وأهدافه . وقد كانت مسائل الناس ومشاكلهم محدودة فى عصره بالنظر لضيق المجتمع وصغر حجم الدولة اذ ذاك .

وعندما انتقل النبى — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الاعلى واتسع نطاق الدولة بعض الشىء فى زمن الراشدين وكثرت المسائل والمشاكل المعروضة على القضاء ، ولم تعد نصوص القرآن والسنة بمفهومها الظاهر كافية للاجابة عن هذه المسائل ، عمد علماء الصحابة كما تقدم الى الاجتهاد فى هذه النصوص وحل المسائل الجديدة وفق روح هذه النصوص وعلى نسقها ، وذلك بالاضافة الى المهام الاخرى الكثيرة التى كانوا يشتغلون بها من تسيير أمور الدولة والمشاركة فى الفتوحات الاسلامية وغيرها . وهكذا استمر الامر الى عهد الامويين حيث أصبحت المشاكل الفقهية تجل عن الحصر وتلح على الفقهاء بالتفرغ لها ودراستها واقتراح الحلول لها وفقا لنصوص القرآن والسنة .

عند ذلك بدأ العلماء بالتفرغ للفقه والتخصص فيه فظهرت المدارس الفقهية المتعددة فى الامصار الاسلامية ، كمكة والمدينة والبصرة والكوفة ومصر وغيرها . وقد كثرت هذه المدارس وانتهج كل من العلماء المتخصصين فى الفقه منهجا خاصا قد يخالف المناهج الاخرى فى بعض جزئياته ، وذلك أمر طبيعى لا بد منه، تقتضيه طبيعة الاجتهاد ، وتفاوت الأفكار .

هذا ومن أشهر العلماء الذين لمعوا وعرفوا بالفقه والاجتهاد فى هذا الدور ابراهيم النخعى ، والحسن البصري ، وان كان لم يصل الينا شىء من مؤلفاتهما ، الا أن آراءهم وفقهم وصل إلينا أكثره على السنة تلامذتهم الذين حفظت لنا مذاهبهم ومدارسهم الفقهية كما سوف يأتى معنا فى العصر العباسى .

٤ — علم أصول الفقه فى العصر الأموى :

لم يكن علم اصول الفقه قد بزغ نجمه بعد فى هذا الدور بالمعنى الكامل لكلمة علم ، ولكنه وجد على صورة قواعد متناثرة ، وضوابط مبعثرة تأتى على السنة الفقهاء فى أبحاثهم ودروسهم دون أن يفردوها بالتصنيف والتقعيد ، وقد استمر الامر على ذلك الى العصر العباسى حيثبدأ الحنفية والشافعية بالتصنيف فى علم أصول الفقه كما سوف يأتى :

٥ — علم اللغة العربية فى العصر الأموى :

اللغة العربية هى اللغة الوحيدة التى كان العرب فى الجاهلية يستخدمونها للتخاطب فيما بينهم ، وقد كانوا شديدى الحرص عليها نقية صافية من اى دخيل ، وكانوا

يعتزون ويفاخرون بها ولا يرضون لاحد منهم أن يتحدث بغيرها ، أو يدخل العجمة فيها ، وعندما جاء القرآن بها ازدادت شرفا ومكانة وازداد تمسك العرب المسلمين بها اكثر فأكثر . وقد كان العرب يحفظون ويتداولون هذه اللغة مشافهة ابا عن جد دون أن يحتاجوا الى تسجيلها فى معاجم ، أو ضبطها بقواعد، فأذن العربى حساسة جدا تكتشف الدخيل على هذه اللغة بسرعة فائقة وترده، ولكن اتساع رقعة بلاد الاسلام بعد الفتوحات فى العهد الأموى ودخول كثير من الاعاجم فى الاسلام واختلاطهم بالعرب المسلمين وبأولادهم مهد السبيل لادخال العجمة فى لغة هؤلاء الاولاد والاحفاد ، وهو الخطر الكبير الذى كان يخشاه العربى محافظة منه على نقاء لغته لغة القرآن والحديث الشريف . وقد سمع بعض العلماء أحد الاعراب يلحن فى لغته فأثار ذلك غضبه وشكوكه ، ونبهه الى موطن الخطر وشدة الحاجة الى تقعيد هذه اللغة بعد جمعها وحفظها .

ومن هنا بدأ العلماء تترى يجمعون مفردات هذه اللغة من فم العرب الاقحاح، ثم ينظرون فيها ويستخرجون منها القواعد والضوابط التى تحفظ نقاءها وأصالتها وتبعد اللحن عنها .

ويروى أن أول من تنبه الى هذا الخطر سيدنا على بن أبى طالب حيث سمع اعرابيا فى العراق يلحن فى كلامه فعمد الى رقعة وكتب فيها : (الكلام اسم وفعل وحرف) فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل) . . ثم دفع هذه الرقعة الى ابى الاسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٧ هـ وقال له (انح هذا المنحى) فأخذها ابو الاسود وبنى عليها . وقيل أن أول من تكلم فى النحو نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هـ ، وقيل غير ذلك . ثم تابع العلماء بعد ذلك السير فى هذه الطريق يستنتجون القواعد من اللغة العربية التى يجمعونها من فم العرب الخلص طيلة العصر الاموى الى أن جاء العصر العباسى الذى أصبحت فيه هذه الدراسات اللغوية تشكل صرحا لعلم عظيم هو علم اللغة العربية . عندها قام افذاذ من العلماء مثل سيبويه والخليل بن أحمد والكسائى وغيرهم بجمع كل هذه الدراسات الماضية ، وتنسيقها والزيادة عليها والخروج منها بعلم عالى البنيان ثابت الاركان ، حفظ لهذه اللغة نقاءها وصفاءها . وهو ما سوف نشير اليه فى العصر العباسى .

وبذلك نستطيع أن نقول أن العصر الأموى كان بحق عصر البدء بتكوين المذاهب فى العلوم الاسلامية والعربية ، حيث إن هذه العلوم زرعت بذرتها فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — والراشدين بعده ، ثم أصبحت هذه البذرة نبتة صغيرة فى هذا العصر ثم اكتمل نموها فى العصر العباسى الذى رعاها بالماء والغذاء اللازم لها حتى أصبحت شجرة كبيرة وارفة الظلال تؤتى أكلها على أتم وجه وأكمله .



للدكتور نور الدين عتر

في مساء يوم الجمعة الخامس عشر من ذي القعدة لعام ١٣٩٤ شاهد الناس القمر وهو في اكتماله البدري قد حجب قسم كبير منه عن الاضاءة واصبح قاتم اللون حائلا بدلا من أن يكون بهيا مضيئا ، كما تعودوا منه ، فعلموا ان القمر قد خسف ، وأخذت منهم هذه الظاهرة غير المعتادة مأخذا أطلق الأفكار لدى بعض الناس نحو موروثات عامية وتقولات بعيدة عن المنطق ، ومثل ذلك يحدث لو كسفت الشمس بل يحدث ما هو أكثر وأقوى منه ، فما هو حادث الكسوف والخسوف ، وما هي صلتهما الحقيقية بالتأثير في حوادث الكون ، وفي مستقبل الانسان ؟؟ .

وما هي حقيقة الشمس والقمر في وظيفتهما في هذا الكون ؟

هذا سؤال خطير تاهت الانسانية في تفسيره عصورا طويلة بسبب البعد عن الهداية والعلم ، وادى ذلك التيه الى ضلال في العقائد وفي السلوك ، جر على الانسانية خطوبا واخطارا كبيرة .. !!!

في الاحقاب السحيقة من التاريخ كانت وسائل البحث بدائية وكان العلم بدائيا ونادرا جدا فخضع الناس لما وقع في أوهامهم من التصورات الخيالية بشأن هذه الكواكب التي تبدو في ظلمة الفضاء الفسيح نقطا مضيئة عجيبة الشأن ، تحلق على أبعاد عظيمة شاسعة . ومع فقدان التصور العلمي للمجموعة الكونية أورث هذا الغموض عند الناس اعتقادا غريبا في الكواكب انها بشكل عام مكونات تستعصي على أحكام الطبيعة التي نعرفها ، مثل قول الفلاسفة الاقدمين انها غير قابلة للخرق والالتئام وليست صالحة للانقسام ، ومثل ما كان يتوهمه الناس من أن للكواكب تأثيرا في أمور الانسان وان لكل انسان نجم يرتبط به ويتأثر ، وقرر فلاسفة اليونان أن هناك عقولا عشرة حلت في عشرة كواكب تدبر أمر العالم



وهكذا وجدت عبادة الكواكب وخاصة الشمس والقمر وهما اقرب واظهر لعيان أهل الأرض ، فعبدهما وعبد نجوما أخرى طوائف من الناس منهم طائفة «الصابئة» وانتشر تعظيم الكواكب واعتقد الناس بتأثيرها فيهم ، حتى صار البحث فيها من مهمات العلوم السحرية ، وصارت كلمة المنجم عنوانا يدل على العراف الذى يتخرص على الغيب بواسطة النجوم ، بدلا من أن تكون تسمية لصاحب اختصاص علمى شأن نظائرها كالطبيب عالم الطب ، والمهندس عالم الهندسة ، حتى سرت هذه الخرافات بين أهل الاديان السماوية السابقة التى يجب أن تكون لهم حصانة من الانزلاق وراء افكار لا علم لهم بها سوى الوهم الفاسد الخيالى ؟ فما بالك بالعرب الاميين الذين لم يتعلموا ولم يجاوزوا حدود البدائية البسيطة فى العيش والمعرفة حتى اشركوا بالله وعبدوا أصناما من الحجارة ؟ !

وهكذا انتشرت الخرافات حول كسوف الشمس وخسوف القمر ، فمن قائل ان ذلك يحدث بسبب أمر خطير سيحدث فى العالم مثل الحروب والخراب أو الاوبئة الفتاكة أو غير ذلك ، ومن قائل ان ذلك بسبب ولادة رجل عظيم أو وفاته . وربما كان السبب فى ظهور مثل هذه الافكار يرجع الى مصادفة اقتران الكسوف أو الخسوف بشىء من تلك الامور التى ذكرناها الامر الذى أورث ذلك التوهم عند الناس .

ومن اعجب الخرافات التى فشت بين بعض العوام الجاهلين ان القمر ينكسف بسبب ابتلاع الحوت اياه ، وانه ينبغى ازعاج هذا الحوت حتى يفلت القمر منه ، فيضربون على الاوانى الضخمة ويحدثون ضجة يخيفون بها الحوت الموهوم بزعمهم لكى يترك القمر ولا يبتلعه !! .

خطــورة الامية الدينية : ــ

ونسجل هنا اثر الأمية الدينية فى سريان هذه الخرافة لدى هذه الفئة من الناس ، ذلك ان قصة الحوت المزعوم تسربت من الثقافة الاسرائيلية وانتشرت بين الامم بواسطة هذه الثقافة ، وتزعم الاسرائيليات أن هذا الحوت اسمه بهموت ، وانه ضخم كبير جدا ، يحمل الارضين السبع على ظهره .. !!

وقد نبه علماء الاسلام على وجوب التحرز من الثقافة الاسرائيلية لما حــوت من الخرافات ، ونبهوا أيضا على بطلان هذه الفكرة الباردة وحذروا منها ومن أمثالها من الاسرائيليات فى مؤلفات كثيرة عديدة ، لا سيما المؤلفات فى علوم القرآن وفى قواعد التفسير ، لكن التخلف العلمى فى فهم الاسلام وفهم مصدريه الاساسيين القرآن والسنة ، هذا التخلف جعل بعض العامة الاميين فى معرفة دينهم يرددون مثل هذه الخرافات الاسرائيلية ولا ينكرونها .

عقيدة القــرآن فى الكــون :

والواقع أن العقيدة القرآنية فى الكون هى يدة منطقية سليمة جاء بها القرآن على مذهب مستقل عن أى نظرية أو فكرة فى الدنيا يوم نزول القرآن تشهد باعجازه حيث جاءت تتجاوب مع العقل المجرد وتدعم تقدم العلم وتؤاخيه الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، ويتأكد هذا الاعجاز باعجاز آخر هو ظهور هذه العقيدة على لسان النبى العربى فى امة امية لا تكتب ولا تحسب ، مما يقطع صلة هذه العقيدة بأى سبب من اسباب الأرض ، ويشهد شهادة أخرى قاطعة انها عقيدة من السماء أنزلها الله رحمة لاهل الارض .

ومن أهم الاسس لهذه العقيدة :

١ ــ ان الكون كله مخلوق لله تعالى وحده خلقه الله وابتدأ وجوده فى كل ذرة من ذراته وأفلاكه وأراضيه وسماواته ومجراته ، تجد ذلك مقررا فى آيات كثيرة جدا ، كقوله تعالى : « **الله خالق كل شيء** » الزمر / ٦٢ « **الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش** » . السجدة / ٤ وغير ذلك من آيات القرآن الكريم .

٢ ــ ان الكون مفتقر الى الله فى استمداد البقاء والاستمرار ، فالله عز وجل يمد هذا الكون بالوجود والبقاء فى كل لحظة من اللحظات ، ويتعهده وينميه ولهذا كان من جملة صفاته عز وجل اسم « الرب » وهو اسم جليل يتضمن صفات كثيرة مثل العلم والارادة والقدرة والحكمة والرحمة وغيرها حتى قال بعض المحققين إن اسم « الرب » هو اسم الله الاعظم . وحسبنا لفهم هذا الافتــار الدائم الى الله هذه الجملة من سورة الفاتحة « **رب العالمين** » التى يقرؤها المسلم فى صلاته مرات ومرات كل يوم ، فان التحقيق فى اسم الرب انه من التربية مأخوذ .

قال الامام البيضاوى . فى تفسيره ج ١ ص ٢٧ « وفيه دليل علـــى أن الممكنات ـــ يعنى المخلوقات ـــ كما هى مفتقرة الى المحدث ـــ أى الخالق ـــ حال حدوثها فهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها » .

وقال الامام الآلوسى فى تفسيره جزء ١ ص ٦٨ . « وما من ذرة من ذرات العوالم الا وهى فى حيطة تربيته ـــ سبحانه ، بل ما من شىء مما أحاط به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيـــات والجسمانيات الا وهو فى حد ذاته بحيث لو فـــرض انقطـــاع آثار التربيـــة منه آنا واحدا لما اســـتقر له القـــرار ، ولا أطمأنت به الـــدار الا فى مطمـــــورة العـــدم ووادى البـــوار ، لـــكن يفيض عليـــه من الجنـــاب الاقدس تعـــالى شأنه وتقـــدس فى كل زمـــان يمضى وكـــل آن يمـــر وينقضى من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته مالا يحيط بذلك فلك التعبير ولا يعلمه الا اللطيف الخبير .. »

« وبالجملة آثار تربيته تعالى واضحة المنار ساطعة الانوار ، فسبحانه من رب لا يضاهى ومنان لا يحصى كرمه ولا يتناهى ، ونحن فى تيار بحر جـــوده سابحون وعن اقامة مراسم شكره قاصرون ، وما أحسن قول بعض العارفين : « انه تعالى يملك عبادا غيرك وانت ليس لك رب سواه ، ثم انت تتساهل فى خدمته والقيام بوظائف طاعته .. وهو سبحانه يعتنى بتربيتك حتى كأنه لا عبد له سواك .. ؟ ! » .

٣ ـــ إن هذه الافلاك والكواكب كلها مسيرة بقدرة الله تعالى مسخرة مقهورة لامره ولجبروته سبحانه **« والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره »** الاعراف / ٥٤ ، وهى بالتالى لا تستحق شيئا من العبادة أو التعظيم : **« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »** فصلت / ٣٧ . وقد أعلن القرآن الكريم ذلك على العالم بقوة وتأكيد فى عصر انتشر فيه تعظيم الكواكب حتى أصبح الناس فى عصر نزول القرآن فريقين : فريق عبد الكواكب واتخذهـــا آلهة تعبد من دون الله تعالى ، وفريق يعتقد أن لها تأثيرا فى الكون وفى حياة الانسان ، فهو يستنيرها أو يراجعها فى أموره ليتعرف مصلحته أو مستقبلـــه بزعمه .. !

٤ ـــ قرر القرآن الكريم أن الكون خادم للانسان مسخر له ، وهو تقرير عظيم الخطورة فى وقعه التاريخى ونتائجه العلمية والحضارية الضخمة ، لما علمنا من انتشار تعظيم الكواكب فى ذلك العصر ، واذا بالقرآن يعكس القضية ويبين تكريم الله للانسان وانه سخر الكون له . يخدمه مجانا ويحقق مصلحة حياته .

وهذا منطلق كبير فى تقدم العلم ورقى الحضارة ، وكان الناس يتوهمون انهم خلقوا فى جو معادلهم حتى كثرت فى الآداب غير الاسلامية عبارات الصراع والحرب ضد الطبيعة والنصر عليها .. حتى اثبتت الابحاث العلمية العميقة أن

هذا الكون خادم للانسان وان مجال انتفاع الانسان منه لا يمكن أن يحيط به الحصر والعد بل يخضع لمدى قدرة الانسان على الانتفاع منه ، وذلك ما أشار اليه القرآن وسبق الى تقريره فى مواطن كثيرة من آياته وسوره .

مثل قوله تعالى : « **هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا** » البقرة / ٢٩ ومثل قوله : « **وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر** » الانعام / ٩٧ فقد أشار بقوله « **جعل لكم** » فى صدر الآية الى انها خلقت لمصلحتنا ومنفعتنا ، ولم يقل يهديكم بالنجوم فأشارت العبارة القرآنية الى أن النجوم مخلوقة لمنافعكم ايها الناس ، ومن جملة المنافع الاهتداء فى البر والبحر ، فقدمت الآية ذكر المنافع عامة ، ثم ذكرت بعضا منها وهو الاهتداء على سبيل المثال .

وقال عز وجل : « **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليـل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار** » . سورة ابراهيم : ٣٣ ، ٣٤ .

وقال عز وجل : « **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الجاثية / ١٣ فقد صرحت هذه الآية بتسخير كـل ما فى السموات وكل ما فى الارض لهذا الانسان ، وكان ذلك امرا عاما لا يفهمـه الناس الفهم المفصل ، حتى جاء تقدم العلم ليعطينا فكرة مبدئية عن هـذا السر الكونى العظيم ، الذى بدا للعلم بوضوح فى شروط الحياة على الارض تلـك الشروط التى تمتد اتصالاتها الى اجواز السماء ومواقـع النجوم وغير ذلك ..

ولا نشك فى أن تقدم العلم سيعطينا مزيدا من أوجه الانتفاع التى سخرت لهذا الانسان كما سبق أن قررنا من قبل .

وقد عبر القرآن الكريم تعبيرا دقيقا عن هذه العلاقة بين الانسان والكون فى كلمة « **سخر** » بما فيها من معانى الخدمة المجانية واستمرار هذه الخدمة .

٥ ــ ان هذه المكونات كلها دليل على قدرة الله تعالى وعظمته وكمالات صفاته العليا ، لما حوته من بديع الصنع واحكام الوضع ودقة النظام ، ولنأخذ من ذلك ظاهرة أدهشت العلماء وهى تناسق أجزاء الكون مع بعضها البعض فكل نجم وكل كوكب يسير فى مدار معين لا يفارقه ، وتتحدد مواقع النجوم كل نجم وكوكب فى مجموعته بما يناسب سائر المجموعة ، وكل مجموعة تتناسق مع المجموعات الاخرى وهكذا ، حتى صار الكون كالعقد المنضد اذا سقطت منه حبة تداعى من ورائها الباقى ، وهكذا تنطق الافلاك بالتسبيح لله تعالى صاحب تلـك القدرة .

وقد سجل القرآن هذه الظاهرة التى اخذ العلم يزيدها ترسيخا وتأكيدا ، انظر قوله تعالى : « **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عـاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار**

وكل فى فلك يسبحون » . سورة يس : ٣٧ ـــ ٤٠ وقال تعالى : « **فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم »** سورة الانعام : ٩٦ .

فهذه الشمس والقمر وكذلك الكواكب الاخرى تسير **(حسبانا)** بحساب دقيق جدا ، ولا شك أن ضبط هذه الاجرام الضخمة امر عظيم يدل على قدرة الخالق العظيم القدرة التى لا تغلب (**العزيز**) التى سيرتها وقهرتها ذلك القهر الذى الزمها مداراتها وانها قدرة تستخدم العلم الدقيق الواسع جدا فى تنظيم ذلك كله وفى حساب النسب والسرعات وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى ، لذلك سجلت الآية فى خاتمتها هاتين الصفتين **« ذلك تقدير العزيز العليم »** .

أثر القرآن فى تربية العقل الصحيح :

هذه الاصول القرآنية تزيح عن احداث الكون واحداث الفلك دخان الاوهام وغياية الخرافات ، وتعلم المؤمن ان احداث الخسوف والكسوف وغيرها تجرى بتدبير إلهى حكيم ، لادخل لموت احد ولا لحياة فيه ، ولا تأثير لها فى شىء من شئون الامم فى حرب ولا سلم ، انما هى جزء من دلائل هذا الكون على عظمة خالقه ومكونه ، توقظ من غفل وتذكر من نسى .

موقف النبى صلى الله عليه وسلم من الخسوف :

وقد اعلن النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة على الملأ عندما خسفت الشمس فى عصره ، فصلى بالناس ركعتين سنة الخسوف حتى انجلت الشمس فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال كما فى الصحيحين وغيرهما :
« أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا » .
ثم قال :

« يا أمة محمد ، والله ما من احد اغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى امته ، يا أمة محمد ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » .
وثبت فى روايات أخرى صحيحة أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده ، وانهما لا ينكسفان لموت أحد .. الى آخرها . رواه مسلم .

فأبطل هذا الاعلان النبوى خرافات الجاهلية ، وربط القضية بتصرف التدبير الالهى الذى خلق السموات والارض واحكم نظام العالم ، ونبه على الحكمة العظمى التى يجب أن لا يغفل عنها الناس فى هذه المناسبة الا وهى تذكر عظمة الله تعالى وجبروته والخوف من عقابه .

اشكال وجوابه :

لكن بعض المثقفين السطحيين فى العلم الكونى استشكل هذا الحديث بان علم الفلك قرر للكسوف والخسوف اسبابا معلومة ، فالكسوف يحدث لتوسط القمر بين الارض والشمس ، فيحجب ضوء الشمس عن الارض ، والخسوف يحدث بسبب توسط الارض بين الشمس والقمـــــر فيحجب ضوء الشـــمس عن القمر فيخسف القمر فيظلم ، وبناء على ذلك يمكن معرفة مواعيد الكســـــوف والخسوف بدقة بالغة قبل آماد بعيدة باستخدام الحسابات الفلكية ، وهو يعارض بزعمهم قوله صلى الله عليه وسلم « آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده »!

وهذا الاستشكال ناشىء من الفهم الخاطىء للابعاد التى يستطيع العـــلم الكونى أن يدركها ، ومن الخلط فى الحقائق الدينية الهامة :

ضلال الغلو فى العـــلة :

وذلك ان البحث فى الطبيعة والكون يستطيع أن يبين كيف يحدث هـــــذا الشىء او يتكون ، فهو مثلا يقول لنا ان تفاعل ذرتين من الهدروجين مع ذرة من الاوكسيجين يولد ذرة من الماء .

كذلك يقرر كما سبق ان الكسوف والخسوف يحدثان بسبب ـذا وكذا مما ذكرناه ، لكن ليس من [illegible] علم الكون أن يدرس أو يبين ما هى الحكمة الالهية والسر فى جعل هذا الشىء يقع ويحدث ، وكل شىء فى الكون يخلق وكل حادث يحدث فانه يكون بسبب يعرفه البحث العلمى لكنه أيضا يكون لحكمة واسرار قدرها الله عز وجل ، لا يستطيع علم المادة بحثها لانها ليست من متناول ادواته ووسائله فهى ليست من اختصاص العلم الطبيعى ، وليس يضر العلم الطبيعى الا يستطيعها لكن يضره ان ينكر ما لا يعارض علما ولا عقلا بمجرد التبجح والغرور ، فان ذلك الانكار تنكب عن جادة العلم جعل صاحبه متقولا بمحض الفرض والافتراء .

اسرار الخلق : علم نبوى خاص :

انما يؤخذ علم اسرار الخليقة والحكمة فيها من علم النبوة لانه علم نزل من لدن خالق الكون الذى يعلم السر فى السموات والارض ، وقد أخبرنا صاحب هذا العلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عبده فواجب علينا اذ عرفنا سبب خسوفهما الكونى ان يزيدنا ذلك البيان النبوى يقينا بما أخبر به الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى ، وقد قلنا فى كتابنا « هدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلوات الخاصة » :

« ان المؤمن يتيقن أن كل سبب ومسبب خاضع لارادته تعالى مخلوق بقدرته سبحانه ، فاذا وقع شىء غريب حدث للمؤمن الخوف لقوة اعتقاده بأن الله تعالى

يفعل ما يشاء ، وانه ذو العظمة الباهرة التى لا نهاية لها ، وذلك لا يمنع أن يكون ثمة اسباب ادت الى تلك الحادثة الغريبة التى خرقت النظام المألوف .

وذلك كمثل من ضبط الساعة ذات الجرس « المنبه » كى يرن جرسها فى وقت معين ، فهل يمتنع عن الاستيقاظ والانتباه لكونه يعلم ذلك من قبل ؟! فكذا علمنا النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه التغييرات جعلها الله لحكمة عظيمة الا وهى العظة والذكرى . . فهل من مدكر !! » انتهى .

عظمة الاعلان النبوى فى مناسبة الكسوف :

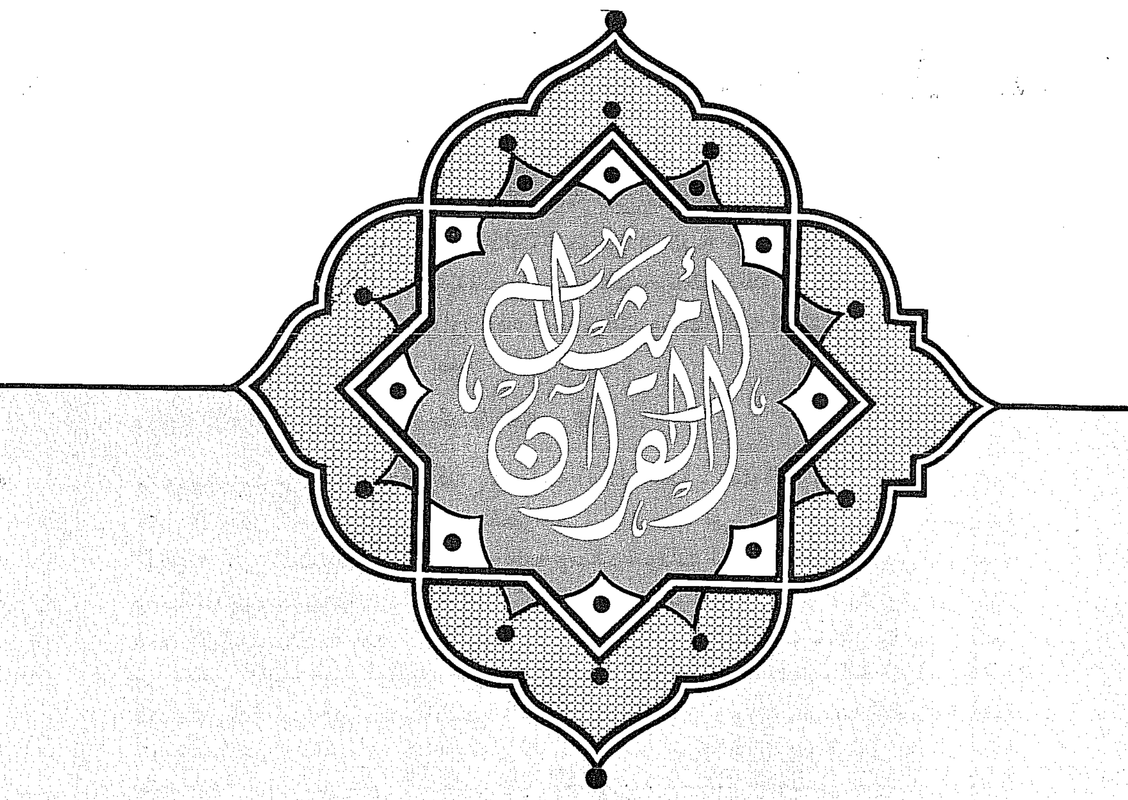
ومما يزيد فى عظمة هذا النبى وعظمة اعلانه هذا ، تلك الظروف التى صدر فيها هذا الاعلان المقرر للعلم المبدد للخرافة ، فقد جاء فى اشد الظروف النفسية المحزنة التى المت بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك انه كسفت الشمس فى عهده وصادف يوم كسوفها وفاة ابنه ابراهيم ، وكان ابراهيم قد كبر قليلا وترعرع مما عقد الامل بسلامته بعد اذ توفى كل اخوته الذكور من قبله ، وكان له مكان كبير فى نفس النبى البر الرؤوف الرحيم الذى شملت رحمته الد أعدائه المؤذين له ، فجاءت وفاة ابراهيم صدمة شديدة على النبى الوالد ، واى مصيبة أعظم من هذه تلم بالأب حيث فقد فلذة كبده وأمل نفسه ؟ فكان من الطبيعى والناس حديثو عهد بالجاهلية ان تظهر على السنتهم تلك المقالة : « كسفت الشمس لموت ابراهيم » وانها لكلمة بالغة الاثر فى استرضاء النفس واستمالتها ، ومنذا الذى يرزؤ بمثل هذا الخطب ثم لا يرى الدنيا مكتسية ثوب الحداد لمصابه ورزئه ، وان الشمس والقمر تشاركانه الأسى لمصابه ؟؟ !!

اثر هذا الموقف العلمى والحضارى :

لكن محمدا الامين صلى الله عليه وسلم يستشعر قبل هذا كله وفوق ذلك كل الحقيقة العلمية التى أطلعه الله عليها ولذا يقوم يخطب فى الناس ليحطم هذه الخرافة التى قيلت مواساة وتكريما لشخصه .

اجل : لم يستشعر النبى الا الحقيقة العلمية فى أمر كونى ، لم يلتفت الى عزاء ، ولا الى معنى فيه تعظيم لشأنه صلى الله عليه وسلم ، لقد كان أعظم الناس امانة واعظمهم صدقا فاستعلى على هذه الاعتبارات التى تطغى على الانسان ، وأعلن للعالم هذه الحقيقة : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت احد ولا حياته » .

ومن هنا كان العلم بالكون وعلم الطبيعة مدينا فى تقدمه وفى رسوخه الى هذا النبى الذى فتح العيون على حقائق الامور كلها : الدينية والدنيوية والكونية ، فاستنارت القلوب بدعوته الدينية وازدهرت الحضارة بشريعته الغراء ، وتقدمت العلوم الكونية بفضل رسالته ، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما .



للدكتور : عبد الله محمود شحاته

من أساليب القرآن الكريم فى ضروب بيانه ونواحى اعجازه ضرب الامثال للناس وابراز المعقول فى صورة المحسوس وعرض الغائب فى معرض الحاضر وقياس النظير على النظير ، وبذلك يسلك القرآن سبيله الى الاقناع بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد افرد أمثال القرآن بالتأليف عدد من العلماء منهم الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٦ هـ والامام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية سنة ٧٥٤ هـ والامام أبو الحسن على بن محمد ابن حبيب الماوردى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وعقد السيوطى فى الاتقان بابا لامثال القرآن وفصلا لاقسام الامثال وأنواعها (١) وفعل ذلك ابن القيم فى كتاب اعلام الموقعين .

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه انه يضرب الامثال فقال سبحانه (**ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون**) « الزمر ٢٧ » .

وقال تعالى (**وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون**) العنكبوت ٤٣ (**وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**) « الحشر ٢١ » .

---

(١) الاتقان ٢ / ١٣١ ، ١٣٢ .

وأخرج البيهقي عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال) .

قال الماوردى من أعظم علم القرآن علم امثاله والناس فى غفلة عنـــه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات ، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام ، والناقة بلا زمـــام .

وقال غيره : قد عدّه الامام الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الامثال الدالة على طاعته المبينة لاجتناب نواهيه ، وقال الشيخ عز الدين انما ضرب الله الامثال فى القرآن تذكيرا ووعظا فما اشتمل منها على تفاوت فى ثواب أو على احباط عمل أو على مدح او ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام ، وقال غيره ضرب الامثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة منها :

التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقــل وتصويره بصورة المحسوس فان الامثال تصور المعانى بصورة الاشخاص لانها أثبت فى الاذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالشاهد (1) .

وقال الزركشى فى البرهان ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة .

تعريف المثــل

والامثال : جمع مثل ، والمثل والمثل والمثيل : كالشبه والشبه والشبيـــه لفظا ومعنى .

والمثل فى الأدب : قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذى حكى فيه

(1) الاتقان ١٣١/٢ وانظر تاريخ التفسير للشيخ قاسم القيسى مطبعة المجمع العلمى بالعراق ص ٩٩ وفيه نص كلام السيوطى .

بحال الذى قيل لأجله ، اى يشبه مضربه بمورده ، مثل « رب رمية من غير رام » اى رب مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطىء ، وأول من قال هذا الحكم بن يغوث النقرى ، يضرب للمخطىء يصيب احيانا ، وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به . ولا تختلف صيغة المثل فى كل استعمالاته فيخاطب به المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث بصيغته التى ورد عليها ، ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن ، وبهذا المعنى فسر لفظ المثل فى كثير من الآيات . كقوله تعالى «**مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن** »١٥ — محمد (١) : أى قصتها وصفتها التى يتعجب منها .

واشار الزمخشرى الى هذه المعانى الثلاثة فى كشافه فقال : « والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل . ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ثم قال : وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة .

وهناك معنى رابع ذهب اليه علماء البيان فى تعريف المثل . فهو عندهم : المجاز المركب الذى تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله . وأصله الاستعارة التمثيلية . كقولك للمتردد فى فعل امر : « مالى اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » .

وقيل فى ضابط المثل كذلك : انه ابراز المعنى فى صورة حسية تكسبه روعة وجمالا . والمثل بهذا المعنى لا يشترط ان يكون له مورد . كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا .

واذا نظرنا الى أمثال القرآن التى يذكرها المؤلفون وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر ، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة ، أم بطريق التشبيه الصريح ؟ أو الآيات الدالة على معنى رائع بايجاز ، أو التى يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه ، فان الله تعالى ابتداها دون أنيك ون لها مورد من قبل .

فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوى الذى هو الشبيه والنظير ، ولا يستقيم حملها على ما يذكر فى كتب اللغة لدى من الفوا فى الامثال ، اذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفش استعماله . ولذا كان الضابط الأخير اليق بتعريف المثل فى القرآن : فهو ابراز المعنى فى صورة رائعة موجزة لها وقعها فى النفس ، سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا .

فابن القيم يقول فى أمثال القرآن : تشبيه شىء بشىء فى حكمه ، وتقريب

---

(١) انظر بلاغة القرآن للاستاذ محمد الخضر حسين صفحة ٢٦ .

المعقول من المحسوس ، أو احد المحسوسين من الآخر واعتبار احدهما بالآخر . ويسوق الامثلة : فنجد أكثرها على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى (**انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء**) ٢٤ ـــ يونس ومنها ما يجيء على طريقة التشبيه الضمنى ، كقوله تعالى (**ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**) ١٢ ـــ الحجرات اذ ليس فيه تشبيه صريح . ومنها مالم يشتمل على تشبيه ولا استعارة ، كقوله تعالى (**يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**) ٧٣ ـــ الحج (**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا**) قد سماه الله مثلا وليس فيه استعارة ولا تشبيه .

أنواع الامثال فى القرآن

الأمثال فى القرآن ثلاثة انواع : الأمثال المصرحة ٢ ـــ الأمثال الكامنة ٣ ـــ الأمثال المرسلة .

النوع الأول : الأمثال المصرحة : وهى ما صرح فيها بلفظ المثل ، أو ما يدل على التشبيه . وهى كثيرة فى القرآن نورد منها ما يأتى :

أ ـــ قوله تعالى فى حق المنافقين (**مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، أو كصيب من من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق** ـــ الى قوله ـــ **ان الله على كل شىء قدير**) ١٧ ـــ ٢٠ البقرة .

ففى هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلا ناريا فى قوله : (**كمثل الذى استوقد نارا ..**) لما فى النار من مادة النور ، ومثلا مائيا فى قوله : (**أو كصيب من السماء**) لما فى الماء من مادة الحياة ، وقد نزل الوحى من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها ، وذكر الله حظ المنافقين فى الحالين . فهم بمنزلة من استوقد نارا للاضاءة والنفع حيث انتفعوا ماديا بالدخول فى الاسلام ، ولكنْ لم يكنْ له أثر نورى فى قلوبهم . فذهب الله بما فى النار من الاضاءة . (**ذهب الله بنورهم**) وابقى ما فيها من الاحراق . وهذا مثلهم النارى .

وذكر مثلهم المائى فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع أصبعيه فى أذنيه وأغمض عينيه خوفا من صاعقة تصيبه ، لان القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق .

ب ـــ وذكر الله المثلين : المائى والنارى ـــ فى سورة الرعد للحق والباطل . فقال تعالى (**أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق**

والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الأمثال) ١٧ ــ الرعد .

شبه الوحى الذى أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء الــذى أنزله لحياة الارض بالنبات وشبه القلوب بالاودية ، والسيل اذا جرى فى الأوديه احتمل زبدا وغثاء ، فكذلك الهدى والعلم اذا سرى فى القلوب أثار ما فيها من الشهـــوات ليذهب بها ، وهذا هو المثل المائى فى قوله (**انزل من السماء ماء ..**) وهــكذا يضرب الله الحق والباطل .

وذكر المثل النارى فى قوله (**ومما يوقدون عليه فى النار ..**) فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذى ينتفع به فيذهب جفاء . فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث .

النوع الثانى من الأمثال الكامنة ــ وهى التى لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معان رائعة فى ايجاز ، يكون لها وقعها اذا نقلت الى ما يشبهها ، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها :

١ ــ ما فى معنى قولهم (خير الأمور الوسط) .

أ) قوله تعالى فى البقرة (**لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك**) ٦٨ ــ البقــرة .

ب) قوله تعالى فى النفقة (**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**) ٦٧ ــ الفرقان .

جـ) قوله تعالى فى الصلاة (**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**) . ١١ ــ الاسراء .

د) قوله تعالى فى الانفاق (**ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقــك ولا تبسطها كل البسط**) ٢٩ ــ الاسراء .

٢ ــ ما فى معنى قولهم (ليس الخبر كالمعاينة) .

قوله تعالى فى ابراهيم عليه السلام (**قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى** . ٢٦ ــ البقرة .

٣ ــ ما فى معنى قولهم (كما تدين تدان) .

قوله تعالى (**من يعمل سوءا يجز به**) ١٢٣ ــ النساء .

٤ ــ ما فى معنى (لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين) .

قوله تعالى على لسان يعقوب (**هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل**) ٦٤.ــ يوسف . وقد أورد السيوطى فى الاتقان احد عشر مثالا من هذا القبيل (١) .

---

(١) الاتقان ١٣٢/٢ وقارن بالتعبير الفنى فى القرآن للدكتور بكرى شيخ أمين ص ٢٢٩ ، ومباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٤٤ .

النوع الثالث : الامثال المرسلة فى القرآن : وهى جمل ارسلت ارسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه . فهى آيات جارية مجرى الأمثال . وقد نقل السيوطى فى الاتقان طائفة منها .

من امثلة ذلك ماياتى :

١ ــ (**الآن حصحص الحق**) ٥١ ــ يوسف ٢ ــ (**ليس لها من دون الله كاشفة**) ٥٨ النجم ٣ ــ (**قضى الامر الذى فيه تستفتيان**) ٤١ ــ يوسف ٤ ــ (**أليس الصبح بقريب**) ٨٥ ــ هــود ٥ ــ (**لكل نبــأ مستقر**) ٦٧ ــ الانعــام ٦ ــ (**ولايحيق المكر السىء الا باهله**) ٤٣ ــ فاطر ٧ ــ (**قل كل يعمل علــى شاكلته**) ٨٤ ــ الاسراء ٨ ــ (**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**) البقرة ٢١٦ ٩ ــ (**كل نفس بما كسبت رهينة**) ٣٨ ــ المدثر ١٠ ــ (**هل جزاء الاحسان الا الاحسان**) ٦٠ ــ الرحمن ١١ ــ (**كل حزب بما لديهم فرحون**) ــ ٥٣ المؤمنون ١٢ ــ (**ضعف الطالب والمطلوب**) ٧٣ ــ الحج ١٣ ــ(**لمثل هذا فليعمل العاملون**) ٦١ ــ الصافات ١٤ ــ (**لا يستوى الخبيث والطيب**) ١٠٠ ــ المائدة ١٥ ــ (**كم من فئة قليلة غلبتفئة كثيرة باذن الله**) ٢٤٩ ــ البقرة ١٦ ــ (**تحسبهم جميعــا وقلوبهم شتى**) ١٤ ــ الحشر .

واختلفوا فى هذا النوع من الآيات الذى يسمونه ارسال المثل ، ما حــكم استعماله استعمال الامثال ؟

فرآه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن ، قال الرازى فى تفسير قوله تعالى (**لكم دينكم ولى دين**) الكافرون ٦ جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة ، وذلك غير جائز ، لانه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به ، بل يتدبر فيه ، ثم يعمل بموجبه .

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن فى مقام الجد ، كأن يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول : (**ليس لها من دون الله كاشفة**) أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه الى باطله فيقول (**لكم دينكم ولى دين**) والاثم الكبير فى ان يقصد الرجل الــى الى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى فى مقام الهزل والمزاح (١) .

« فوائــــد الأمثــال »

١ ــ الامثال تبرز المعقول فى صورة المحسوس الــذى يلمسه النــاس ، فيتقبله العقل لان المعانى المعقولة لا تستقر فى الذهن الا اذا صيغت فى صورة حسية قريبة الفهم، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء ، حيث لايحصل من انفاقه

---

(١) بلاغة القرآن ص ٣٣ .

على شيء من الثواب ، فقال تعالى (**فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا**) ٢٦٤ ـــ البقرة .

٢ ـــ وتكشف الامثال عن الحقائق ، وتعرض الغائب فى معرض الحاضر ، كقوله تعـــالى (**الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس**) ٢٧٥ ـــ البقرة .

٣ ـــ وتجمع الامثال المعنى الرائع فى عبارة موجزة كالامثال الكامنة والامثال المرسلة فى الآيات الانفة الذكر .

٤ ـــ ويضرب المثل للترغيب فى الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس ، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق فى سبيل الله حيث يعود عليه الانفاق بخير كثير ، فقال تعالى (**مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**) ٢٦١ ـــ البقرة .

٥ ـــ ويضرب المثل للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس ، كقوله تعالى فى النهى عن الغيبة (**ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم أن ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه**) ١٢ الحجرات .

٦ ـــ ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى فى الصحابة (**ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطاه فآزرة فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**) ٢٩ ـــ الفتح وكذلك حال الصحابة فانهم كانـــوا فى بدء الأمر قليلا ، ثم أخذوا فى النمو حتى استحكم أمرهم ، وامتلأت القلـــوب اعجابا بعظمتهم .

٧ ـــ ويضرب المثل حيث يكون للممثل به صفة يستقبحها الناس ، كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله كتابه ، فتنكب الطريق عن العمل به ، وانحط فـــى أهوائه ، فقال تعالى (**واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منهـــا فأتبعـــه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عيه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا**) ١٧٤ ، ١٧٥ ـــ الأعراف .

٨ ـــ والأمثال اوقع فى النفس ، وابلغ فى الوعظ ، وأقوى فى الزجر ، وأقوم فى الاقناع ، وقد أكثر الله تعالى الأمثال فى القرآن للتذكرة والعبرة ، قال تعالى : (**وضربنا لكم الامثال**) ابراهيم ـــ ٤٥ وقد ضربها النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه ، واستعان بها الداعون الى الله فى كل عصر لنصرة الحق واقامة الحجة ، ويستعين بها المربون ، ويتخذونها من وسائل الايضاح والتشويق ، ووسائل التربية فى الترغيب أو التنفير ، فى المدح أو الذم (١) .

---

(١) مناع القطان مباحث فى علوم القرآن ص ٢٤٧ .

« من أمثال العــرب »

استعمل العرب المثل فى أشعارهم ونثرهم ، كما ورد فى السنة النبوية طائفة من الامثال ، وعقد لها أبو عيسى الترمذى بابا فى جامعة أورد فيه أربعين حديثا ، وقال القاضى أبو بكر بن العربى « لم أر من أهل الحديث من صنف فأفرد للامثال بابا غير ابى عيسى ولله دره لقد فتح بابا ، وبنى قصرا أو دارا ولكنه اختط خطا صغيرا فنحن نقتنع به ونشكره عليه » .

وسأورد هنا طائفة من الامثــــال العربية السائرة وهى فى مجموعها تدل على مفهوم خاص للطبيعة العربيةفى جاهليتها واسلامها :

المثـــل	موضوعـــه
ان البغاث بأرضنا يستنسر	يضرب للضعيف يصير قويا
ان العوان لا تعلم الخمرة ؟	يضرب للخبير المجرب
ان الجبان حتفه من فوقه	يضرب لمن يخاف من محذور فيصيبه
انما اكلت يوم أكل الثور الابيض	الاتعاظ بما حدث للغير
اذا تخاصم اللصان ظهر المسروق	الاختلاف يظهر الشىء الضائع
رب أخ لك لم تلده امك	الاخوة الصادقـــــة
ان ترد الماء بماء أكيس	الاستعداد للامر واحكامه
ما يوم حليمة بســـــر	اشتهـــار الامر
نفس عصام سودت عصامـــا	الاعتماد على النفس
زر غبا تزدد حبــا	تقليل الزيـــــارة
لعل له عذرا وانت تلوم	التماس الاعذار للناس
لا ناقتى فى هذا ولا جملى	الامر ليس فيه مصلحة
لو ترك القطا ليلا لنـــــام	الامر الخفى يظهر مايدل عليه
فى الصيف ضيعت اللبــن	الامر يطلب بعد فواته
بلغ السيل الزبـــــى	الامور تتجاوز فى الشـــدة
اذا أردت أن تطاع فسل ما يستطاع	الامر بما فى الطاقة والوسع
قلب له ظهر المجــن	تبدل الاحـــوال
لكل ساقطة لاقطة	المتشابهان ينجذب احدهما الى الاخر
من أكل على مائدتين اختنق	التذبذب على موائد الغير
يقدم رجلا ويؤخر اخرى	التردد فى الامـــــر
كما تدين تـــــدان	الجزاء من جنس العمل
من جد وجد ومن زرع حصد	الجد والاجتهاد
الحاجة تفتق الحيلة	الحاجة سبب الاختراع

المثل	موضوعه
عند الصباح يحمد القوم السرى	الراحة بعد التعب
يعلم من أين تؤكل الكتف	الرجل العارف بوجه المنفعة
كل اناء بالذى فيه ينضح	رجوع الفرع الى اصله
تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها	رفض الكريم العمل الخسيس
ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى	الرفق والتوسط فى الاعمال (حديث)
الظلم مرتعه وخيم	عاقبة الظلم
عند جهينة الخبر اليقين	العلم بباطن الامور
صدرك أوسع لسرك	كل انسان اكتم لسره
الق دلوك فى الدلاء	المزاحمة فى معترك الحياة
لكل مقام مقال (١)	مطابقة المقال للحال

وتلاحظ على الامثال العربية انهاتجمع صفات أربعة :
١ ـ ايجاد اللفظ ٢ ـ اصابة المعنى ٣ ـ حسن التشبيه ٤ ـجودة الكناية .

ولكن المثل فى القرآن لا يخضع لهذه الشروط لان أمثلة القرآن انواع منها الامثال المصرحة ، والامثال الكامنة والامثال المرسلة وقد اعترض بعض الكتاب المحدثين على ما ذهب اليه السيوطى فى الاتقان حيث عد السيوطى احد عشر مثالا من الامثال الكامنة فى القرآن مثل **(من يعمل سوءا يجز به)** النساء ـ ١٢٣ فهى فى معنى قولهم (كماتدين تدان) .

وايضا قوله تعالى **(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه)** يونس ٣٩ فهى فى معنى (من جهل شيئا عاداه) .

قال هذا الباحث : (ويبدوا لنا ان ذلك تنطع وتكلف لاحد لهما . . لأن الصيغة التى تشترط فى المثل لا تتوافر فيها ولذلك فنحن نرفض ما جاء به السيوطى ومن تبعه ولا نعتبر الامثال الكامنة شيئا يستحق أن يدرج فى بحث الامثال) (٢) .

ونحن لا نوافق هذا الباحث على رايه ونرى ان الامثال القرآنية لا تخضع لما يشترطه الدارسون العرب فى المثل السائر من ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة ، لان للقرآن أسلوبا يتميز به على سائر الكلام فأحيانا يوافق الشروط المطلوبة فى المثل واحيانا يخرج عليها ولكنه فى كلا الحالتين يظل مثلا من أمثلة القرآن المتعددة الانواع كما أسلفنا .

---

(١) انظر الامثال للميدانى ، ومن أمثال العرب ـ تاليف محمد عبد الغنى حسن والمعشرى .
(٢) دكتور بكرى شيخ أمين التعبير الفنى فى القرآن ص ٢٢٩ .

من قضاة الإسلام

أبو يوسف

للدكتور فؤاد عبد المنعم

تمهيد :

شهد مجتمع الشرع الاسلامى ، تحقيق العدل ، بايصال الحقوق الى اصحابها ، وتطبيق مبادئه وتعاليمه من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فيما يعرض عليهم من منازعات وأقضية ، بذلوا كل طاقاتهم فى المسائل الجزئية المتجددة التى لا نص فيها من الكتاب او السنة ليصلوا فيها الى وجه الحق ، فنعلم قطعا ويقينا ان الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعا ويقينا انه لم يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضا ، والنصوص اذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ، علم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار ، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد .

من هؤلاء الرجال قاضى القضاة ابو يوسف . وتبدو اهمية بحث شخصيته ، انها تعين قضاة اليوم على المضى فى طريق اسلافهم ، يبتغون الحق ، ولا يخشون فيه لومة لائم .

معالم حياته :

● عربى الاصل ، من قبيلة الاوس التى نصرت رسول الله ، جده الاكبر سعد بن حبه اشترك — على الرغم من صغر سنه — مقاتلا جادا فى سبيل الله فى غزوة الخندق ، فجذب

نظر الرسول عليه السلام فأقبل عليه النبي ودعا له ومسح رأسه ويقول ابو يوسف « تلك المنحة فينا الى يوم القيامة » .

● والده ابراهيم بن حبيب خياط فقير بالكوفة ، انعم الله عليه بيعقوب فى ١١٣هـ — ٧٣١هـ الذى اشتهر فيما بعد بأبي يوسف قاضى القضاة

● بدأت علامات الخير فى ابى يوسف منذ صغره ، فسعى الى حفظ الاحاديث وسمعها من كبار رجال عصره مثل : ابى اسحاق الشيبانى وسليمان التميمى ، والاعمش ، وهشام بن عروة ، وعطاء بن السائب وعندما اصبح سنه سبعة عشرة عاما أخذ يملى على الناس . يقول الطبرى (٣١٠هـ) عنه « كان يحضر المحدث فيحفظ خمسين او ستين حديثا ثم يقوم ويمليها على الناس كما سمعها » .

● تفقه فى الدين وتتلمذ على يد محمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلى (١٨٤هـ) تسع سنين ، وتولى استاذه القضاء فانتقل الى ابى حنيفه (١٥٠ هـ) وحرص على مجلسه . يروى لنا ابو يوسف حالة فى تلك الفترة فيقول : « كنت اطلب الحديث والفقه وانا مقل فجاء ابى يوما وانا عند ابى حنيفة وقال : يا بنى لا تمدن رجلك مع ابى حنيفة ، فان خبزه مشوى وانت محتاج الى المعاش فآثرت طاعة ابى فتفقدنى ابو حنيفه فجعلت اتعاهد مجلسه » .. وجاء والدي يضج ويصيح ويقول : يعصينى هذا الولد وانتم تعينونه ؟ فقال له ابو حنيفة وماذا تريد منه ؟ قال اريد منه ان يلزم السوق ويعول عياله » . ويذكر لنا القاضى التنوخى (٣٨٤هـ) فى كتابه الفرج بعد الشدة فيقول : « خرج ابو يوسف لمجلس ابى حنيفه يوما فأقام فيه وعاد ليلا وطلب ما يأكل ، فجاءته امه بكتبه مغطاة فكشفها فقال ما هذا ؟ قالت ما انت مشغول به نهارك اجمع فكل منه ليلا .. » ورغبته فى العلم جعلته من اجل أصحاب ابى حنيفه . وقد توسم فيه استاذه اهلية القضاء .

● تولى القضاء فى زمن الخليفة المهدى (١٦٩هـ) والهادي (١٧٠هـ) ووثقت الصلة بينه وبين هارون الرشيد (١٩٣هـ) فولاه قضاء البلاد كلها ، واطلق عليه قاضى القضاة وهو اول من اطلق عليه ذلك اللقب ، وبقى فى ذلك المنصب الى ان مات ببغداد عام ١٨٢ هـ — ٧٩٨ م .

دفع شبهة عن ابى يوسف :

ادعى بعض المعاصرين لابى يوسف ، انه كان يجامل الحاكم فى قضائه وقد تلقف المستشرقون هذه الروايات ورموا أبا يوسف بعدم العدل ويدحض هذه الفرية ما جاء بأخبار القضاة لوكيع : « خوصم موسى الهادى (١٧٠هـ) . أمير المؤمنين — الى ابى يوسف فى بستانه فكان الحكم فى الظاهر لامير المؤمنين وكان الامر على خلاف ما يظهر من الحكم فقال له امير المؤمنين : ما صنعت فى الامر الذى

نتنازع اليك فيه ؟ قال : خصم امير المؤمنين يسألنى ان احلف امير المؤمنين ان شهوده شهودا على الحق فقال موسى : وترى ذلك ؟ قال : قد كان ابن الجاليلى يراه فقال : فأردد البستان عليه .

ان عدم اطمئنان ابى يوسف لشهادة شهود الحاكم وسعيه للوصول الى الحق فى هذه المسألة ، دفعه ان يطلب بجراة من الحاكم نفسه توثيق شهوده بأن يقسم على انهم صادقون ويتهرب الحاكم من القسم بلباقة ، وامر ابا يوسف بأن يحكم لخصمه .

وقد كانت لابى يوسف عند الرشيد منزلة رفيعة بحيث يصل الى دار الخلافة راكبا دابته فيرفع له الستر فيدخل كما هو راكبا ، والرشيد يبدؤه بالسلام « مداعبا » وقد سأله يوما : ان انا شهدت امرا هل تقبلها منى ؟ قال ابو يوسف : لا فسأله عن ذلك قال : لانك تتكبر على الخلق، ولا تحضر الجماعة مع المسلمين ، فبنى الرشيد مسجدا فى داره وسمح للعامة بالصلاة فى مسجده وحضر الخليفة الصلاة معهم .

ويوجه ابو يوسف الرشيد فيقول له : « ان الدعاة مؤدون الى ربهم ما يؤدى الراعى الى ربه ، فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار فان اسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته .. وكن من خشية الله على حذر واجعل الناس فى امر الله سواء القريب والبعيد ولا تخف فى الله لومة لائم » ولقد كانت ثقة ابى يوسف فى عدله دفعته الى ان يقول ساعة موته : « اللهم انك تعلم اننى لم اجر فى حكم حكمته بين عبادك متعمدا ، ولقد اجتهدت فى الحكم بما يوافق كتابك وسنه نبيك .. » . فكيف يمكن أن يقال ان ابا يوسف يجامل الحاكم على حساب المحكومين ؟!

صورة من انصاف ابى يوسف وفقهه :

روى الحسن بن زياد فقال : « كنا يوما بباب ابى يوسف اذ اقبل من دار الرشيد يبتسم فقال : حدثت مسألة فى دار امير المؤمنين ، وهى ان قاضيا بأرمينيا اختصم اليه جاريتان فى جرتين قد استقتا ماء . فوضعتا الجرتين لتستريحا فسقطت جرة احداهما على جرة الاخرى فانكسرتا فاختصمتا الى القاضى فقالت كل واحدة منهما سقطت جرة هذه على جرتى وكسرتها فجعل القاضى ينظر اليهما لا يعرف المدعى منهما من المدعى عليه . فقال للقيم : اخرهما ! ثم صاحتا واويحتا ! فقال للقيم : اذهب فاشتر لهما جرتين وارض كلا منهما . فلما كان العشى قال لرجل كان يأنس به : ماذا يقول الناس ويخوضون فيه من امرنا ؟ قال يقولون : ان القاضى لم يحسن ان يحكم فى جرتين حتى غرمهما ! فقال سبحان الله : أفلا يرضون منى ان احكم فيما احسن وأغرم فيما لا احسن ؟! قال ابو يوسف : فقلت يا

امير المؤمنين هذا رجل عاقل فـزد فى ارزاقه للغرامات الف درهم كـل شهر . فقلنا لابى يوسف كيـف جواب هذه المسألة ؟ قال ان كانتـا وضعتا الجرتين فى مستـراح للمسلمين فكل واحدة منهما جاعلـة جرتها فى حقها غير جانية علـى صاحبتها وعلى كل واحدة منهما قيمة جرة صاحبتها ، وان كانت احداهما فى مستراح والاخرى فى غيـر المستراح فالتى فى غير المستـراح جانبة على صاحبتها » . فأبـو يوسف كان ينصف من يعمل معه من القضاة وان خالفهم فى الرأى .

آثاره وأثره :

● ان كتب ابى يوسف التى وصلت الينا قليلة فقد ضاع منها الكثير وعلى الرغم من قلة ما وصلنا منها الا انها تشهد بأنه فقيه كبير بل ورائد مـن رواد علم الاقتصاد ، ففى كتابـه الخراج يبحث عن الموارد الماليـة للدولة الاسلامية من جباية الخـراج والعشور والصدقات والجوالـى . ويعنى ابو يوسف بالخراج ضريبـة الارض فقد تركت الارض المفتوحـة على ملك أصحابها وفرض عليهم دفع ضريبة هى الخراج . ويعنى بالعشور ما يحصل من الاراضى التى اسلـم أهلها كأرض المدينة واليمن . ويعنى بالصدقات الزكاة المفروضة علـى المسلمين من مالهم . وبالجوالـى الجزية على رؤوس الذميين وامثالهم فهو يتعرض لضرائب الارض وضرائب الرؤوس ويظهر فى الكتاب اثر النقل والعقل معا ، فهو كثير النقل عـن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وغيرهم ، وهو مع هـذا يخالف عمر بن الخطاب فيما قدر على الاراضى ، ويرد على ما يتعلق بهـا من اعتراض فلقد سئل ابو يوسف : لم لم ترد الناس الى ما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وضعه على أرضهم ونخلهم وشجرهم . وقـد كانوا بذلك راضين وله محتمليـن ؟ قال ابو يوسف : ان عمر رضى الله عنه رأى الارض فى ذلك الـوقت محتملة لما وضع عليها ، ولم يقـل وضع عليها ما وضع من الخراج ان هذا الخراج لازم لاهل الخـراج ، وحتم عليهم ، ولا يجوز لى ولمن بعدى من الخلفاء ان ينقص منه ولا يزيـد فيه ، بل كان فيما قال لحذيفة وعثمان حين اتياه بخبر ما كان استعملهمـا عليه من أرض العراق : « لعلكمـا حملتما الارض ما لا تطيق » دليـل على انهما لو اخبراه انها لا تطيـق ذلك الذى حملته من أهلها لنقـص مما كان جعله عليهم من الخراج .. فلما رأينا ما كان جعله (عمر) على أرضهم من الخراج يصعب عليهم ، ورأينا اخذهم بذلك داعيا الى اجلائهم عن ارضهم وتركهم لها لم تحملهم ما لا يطيقون ، ولم تأخذهم من الخراج الا بما تحتمله أرضهـم » . ومـن هنا يتضح لنا اجتهاد الرجل وقـوة حجته .

● كتاب اختلاف ابى حنيفة وابن ابى ليلى ، وهو نتيجة طبيعيـة للتلمذة عليهما ، وكان منصفا بينهما ،

ويبين موقفه منهما ، وكان لـه استقلاله وذاتيته فقد سأله امير المؤمنين هارون الرشيد عما يخرج من البحر من حلية وعنبر وقد كان ابو حنيفة وابن ابى ليلى رحمهما الله يقولان : ليس فى شىء من ذلك شىء لانه بمنزله السمك واما انا فأرى فى ذلك الخمس واربعة اخماسه لمن اخرجه . لانه قد روينا فيه حديثا عن عمر رضى الله عنه ، ووافقه عليه عبد الله بن عباس فاتبعنا الاثر ولم نر خلافه .

● كتاب الرد على سير الاوزاعى: ويرد ابو يوسف فيه على عبد الرحمن الاوزاعى امام الشام فى المسائل التى خالف فيها ابا حنيفة فى سيرة المسلمين فى معاملة المشركين من اهل الحرب ، واهل العهد والمستأمنين واهل الذمة واهل البغى ، وما يتعلق بها من غنائم واثار .

● كتاب الاثار ويضم روايات ابى حنيفة وبعض ارائه الفقهية ..

ومن الكتب التى لم تصلنا ما يذكره لنا ابن النديم فى فهرسته لابى يوسف من الكتب فى الاصول والامالى : كتاب الصلاة ، وكتاب الزكاة وكتاب الصيام وكتاب الفرائض وكتاب البيوع وكتاب الحدود وكتاب الوكالة وكتاب الوصايا ، وكتاب الصيد والذبائح وكتاب الغصب والاستبراء.

ولابى يوسف املاء رواه بشر بن الوليد القاضى يحتوى على ستة وثلاثين كتابا مما فرعه ابو يوسف : كتاب اختلاف الامصار وكتاب الرد على مالك بن انس وكتاب الجوامع الفه ليحيى بن خالد يحتوى على اربعين كتابا ذكر فيه اختلاف الناس والرأى المأخوذة به » . وكتاب ادب القاضى وقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون .

وكان لابى يوسف اثره فى نشر المذهب الحنفى بما الف من كتب سجل فيها اراء استاذه : ولتوليه القضاء ومنصب قاضى القضاة ، وقد كان للتجربة العملية فضل كبير فى تكوين كثير من آرائه واجتهاده التى تتسم بالواقعية ولذلك فقد صرح الفقهاء بأن الفتوى على قول ابى يوسف فيما يتعلق بالقضاء والشهادات ، وان القضاة الذين جاءوا بعده كانوا يأخذون بأحكامه .

واخيرا انقرض رأى الائمة فيه : يقول استاذه الامام ابو حنيفه عندما زار تلميذه ابا يوسف وهو مريض : « ان يمت هذا الفتى فهو أعلم من عليها وأومأ على الارض » ويروى عن الامام مالك قوله : « لم يكن فى اصحاب ابى حنيفة مثل ابى يوسف علما وفقها ومعرفة ، لولاه لم يذكر ابو حنيفة ولا ابن ابى ليلى لكنه نشر علمهما .. » ويقول الامام احمد بن حنبل : « ابو يوسف كان منصفا فى الحديث .

لقد اصبح ابن الخياط الفقير يضرب به المثل فى طلب العلم والحرص عليه وكيف وصلت به ارادته الى اعلى المناصب فى مجتمع اسلامى تحققت فيه تكافؤ الفرص أمام الجميع .

مائدة القارئ

« ونضع الموازين القسط ليــوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

ــ قرآن كريم ــ

لا تكونوا امعة

اخرج الترمذى عن حذيفة رضـــى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم

لا تكونوا امعة ، تقولـــــون إن احسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا الا تظلموا » .

ثلاث من كن فيه كن عليه

البغى : قال تعالى :**(يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم)** .

المكر : قال سبحانه (**ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله)** .

النكث : قال تعالى : (**فمن نكث فانما ينكث على نفسه)** .

عــز التقـــوى

قال عبد الله بن الحكم للامام الشافعى لما قدم مصر : اذا أردت أن تسكن هذا البلد فليكن لك قـــوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال الامام الشافعى رضى اللـــه عنه : يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له ، ولقد ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ،وماعندنا قوت ليلة ، ومابتنا جياعا قط ..

تفـــــاؤل

تفقد المأمون جنده يوما .. فرأى أحدهم فسأله عن اسمه فقـــال : عمر ، عمرك الله ، فقال له المأمون : ابن من ؟ فقال : ابن سعد أسعدك الله . فقال ابن من ؟ فقال : ابن سالم سلمك الله .

فقال له : أنت تحـــرس الليلة . فقال : الله يحرسك يا أمير المؤمنين وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين فأمر له بجائزة ثم مضى المأمـــون وهو يقول :

ان أخا الهيجاء من يسعى معـــك ... ومن يضر نفســك لينفعــــك
ومن اذا ريب الزمان صـــدعـــك ... شتت فيه شمله ليجمعـــــك

العـــــزب

يقال : فلان عازب أو أعزب : أى غير متزوج وهذا خطأ ، والصــواب فلان عزب .

جاء فى المعاجم اللغوية : العزب من لا أهل له .

ذلاقة اللسان

اياك والاعتقاد بأن ذلاقة اللسان تدل على الفطنة ، فالمريض لا يكـثر هذيانه الا اذا اشتدت عليه وطـأة الداء .

ابـن سبيـل

من أطرف ما يروى أن جرير بـــن الخطفى قدم على عمر بن عبد العزيز .. وأراد أن ينشده شعرا فنهاه عمر، فقال جرير ، انما أذكر رسول اللــه صلى الله عليه وآله وسلم فاذكره .. فقـــال :

ان الذى ابتعث النبــى محمـــدا ... جعل الخلافة للامير العـــادل
رد المظالم حقهـــا بيقينهـــــا ... عن جورها ، وأقام ميل المائـــل
والله أنزل فى القرآن فريضـــــة ... لابن السبيل وللفقير العـــائل
أنى لارجو منك خيرا عاجــــلا ... والنفس مغرمة بحب العاجـــل

فقال له عمر : ما أجد لك فـــى كتاب الله حقا . قال : بلى يا أميـــر المؤمنين ، انى ابن سبيل فأمر له من خاصة ماله بخمسين دينارا .



للدكتور محمد محمد ابو شوك

في مقال سابق تحدثت عن اعظم وادق مختبر (معمل) من صنع خالق الكون وعمل كل وحدة فيه ، بنظـام ودقة طوال عمر الانسان دون ما كلل ولا ملل ، ذلك هو كبد الانسـان .

وفي مقالي هذا ابسط امام القارىء دليلا آخر ليتفكر ويتدبر في خلق الله وما اجل ان يفكر ويتدبر الانسان في خلقه هو ، ليأخذ من نفسه العبر .

سأتعرض هذه المـرة الى ادق واعظم معمل تكرير في الوجود الا وهو (الكلوة) فلنتخيل معا مـدى قدرة هذا المعمل وما يقوم به من اعمال لنقف على قدرة الخالق والصانع جـل علاه .

ولاهمية هذا المعمل كانت دقـة تركيبه ، ووفرة المادة العاملـة به ووجود مدخر منها كثير حتى انه يمكن للانسان ان يحيا حياة طبيـة بنصف كلوة سليمة .

وتحتوي كل كلوة على مليون وحدة تقوم بالعمل حتى اذا فقدت وحـدة القدرة على القيام بالعمل حلت مكانها وحدة اخرى ، وحتى لا تتوقف وظائف الكلوة ، وعندما نقول ان الكلوة هبط عملها واصبحت غير قـادرة عـلى



العمل تكون معظم هذه الوحدات قد اصابها العطب بسبب المرض فتليفت او انه اصاب الجهاز الذى ينقل اليها الدم خلل نتج عنه عدم وصول المادة (وهى الدم) الى الكلوة لتقوم بعملها . فيكون الهبوط كما نقول نحن الأطباء خارجا عن نطاق الكلوة وليس لمرض بها . وكذلك لو سد الانبوب (الحالب) الخارج من الكلوة والحامل لنتاج عملها وهو البول فان الكلوة تتمدد وتتكيس وتتآكل الوحدات العاملة ويحدث بها الهبوط لو استمر هذا الانسداد لفترة طويلة .

وتتركب الوحدة العاملة بالكلوة من حافظة (تسمى حافظة بومان) نسبة لمكتشفها وتحيط بالشعيرات الدموية والتى يأتى اليها الدم من الشريان الكلوى وبمرور هذا الدم فى هذه الحافظة يخرج منه السائل المكون له بما يحمل من املاح ومواد فائضة عن الجسم والمواد التى يريد ان يتخلص منها والتى اذا بقيت به اضرته وبمرور هذا السائل داخل انابيب مختلفة الحجم والتركيب يمتص منه ما هو لازم للجسم ويفرز ما يزيد عن حاجته ، ويسير الى ان ينتهى فى

انابيب تسمى الأنابيب المجمعة والتى تصب جميعهـا فى حـوض الكـلى ويكون قد وصل فى هـذه الأنابيب الكمية من السائل والمواد التى يريد الجسم أن يتخلص منها والتى تسمى البول . ومن حوض الكلى الى الحالب ومن الحالب الى المثانة .

هذه العملية المتناهية الدقة والتى تعمل فيها كل خلية مكـونة لهـذه الوحدة ، تمتص ما يحتاجه الجسـم وتطرح ما لا يريده خارجها ، كل ذلك فى وقت وجيز . ولو علمنا ان ما يذهب الى الكلوتين من دم فى حالـة الراحة هو (١٣٠٠ سم٣) كل دقيقة . هذا الدم لا بد أن ينقى أى يمر فى هذا المعمل لتكريره ، فان العقـل ليقف مذهولا امام تلك القدرة الخارقـة والتى لا يعرف كنهها ، والسر العجيب فى هذا النظام الدقيق الـذى عرف الطب منه القليل ، وما خفى أعظم .

كل هذا يدل دلالة واضحة عـلى عظمة الخالق وابداع الصانع واعود والقى بعض الضوء على ما تقوم بـه الكلوة من وظائف ليتبين لنا مـدى اهميتها للجسم :

أولا : الكلوة هى التى تنظم كمية الماء بالجسم فلو تصورنا أن سبعـة اثمان الماء الذى يمر بالكلـوة يمتص ويعاد داخل الجسم ويخرج ١/٨ الماء على هيئة بول لعرفنا مدى ما تقـوم به الكلوة من ابقاء ماء الجسم . ففى الشتاء يلاحظ أن كمية البول أكثر منها فى الصيف اذ أن الجسم يفقد بعـض الماء عن طريق العرق اثناء الصيف . لذا تبقى الكلوة الماء الـلازم للجسم فلا تخرجه وبذلك يقل البـول فى الصيف .

ثانيا : كذلك تنظم الكلوة نسبـة الاملاح فى الدم ، فالزائد عن الحاجة يخرج فى البول ، واذا نقص ملـح ابقت على وجوده والحفاظ عـلى جنسيته فى الدم حتى لا يتأثر الجسم واذا عرفنا أن لكل ملح أهمية خاصة فى وظائف الجسم لعرفنا مدى أهمية هذه العملية . فلنضرب بذلك مثلا : ملح كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) اذا نقص فى الجسم حدث انهـاك شديد للعضلات ، فلا يمكن للجسم أن يتحرك من الضعف مع هبوط فى ضغط الدم ، أو الشعور بدوار ، أو تقلصات تحـدث فى العضـلات ، وغثيان وقىء ، وتقلصات عضـلات البطن وآلام بها . وملح البوتاسيـوم لـو نقص أو زادت نسبته لحدثت تغيرات شديدة بالجسم منها كذلك الهبـوط العام ، والتأثير على انتظام ضربات القلب والقيام بعمله ، وكذلك يحـدث الغثيان والقىء ، وتتمدد الأمعـاء ويحـدث توقف لحركاتهـا وتنتفخ البطن .

من هنا يظهر جليا كم هو مهم تنظيم كمية كل ملح فى الدم وما يحـدث للجسم اذا حدث خلل فى هذه الوظيفة التى تقوم بها الكلوة .

ثالثا : وتقوم الكلوة كذلك بالحفاظ على تفاعل الدم فتبقيه على ميله الى

الناحية القلوية وذلك بتغير ما يفرز فى البول من مواد فاذا زادت حموضة الدم نشطت الكلوة لافراز كل ما يسبب ذلك ، ودفعت المواد التى تساعد على علاج هذه الحموضة الزائدة والعودة بالدم الى حالته الطبيعية ، لأن تغير تفاعل الدم يسبب خطرا على الجسم فاذا لم تقم الكلوة بهذه الوظيفة كانت الغيبوبة الحمضية التى ربما أودت بحياة المريض . وعلى عكس ذلك اذا زادت نسبة قلوية الدم فانه يسبب تقلصات شديدة فى العضلات تؤلم المريض ، فتهب الكلوة لتصحح الوضع ويعود الدم الى حالته الطبيعية بافراز المواد القلوية وابقاء المواد الحمضية . وهناك من الأمراض العديدة ما يسبب تغير تفاعل الدم واذا لم تصحح الكلوة الوضع فان حالة المريض تسوء ، وتضطرب وظائف الأعضاء المختلفة ، فالمخ يتأثر والقلب يتأثر تبعا لهما فهما يحتلان مراكز قيادية للجسم،ثم تكون النتيجةالسيئة والتدهور فى حالة المريض .

رابعا : والكلوة تحافظ على المواد اللازمة للجسم اثناء مرور الدم فيها لتصفيته فلا يخرج الجلوكوز الهام لكافة الجسم ، ولا البروتينات الهامة لبناء الجسم والعمل على المناعة فيه ، ولا تخرج الفوسفات والبيكربونات والامونيا وغيرها من المواد ، ولا يحس بنعمة الحفاظ على هذه المواد داخل الجسم الا من يصاب بمرض أو قصور فى عمل الكلوة فتخرج البروتينات منها كما هو الحال فى التهاب الكلوة تحت الحادة فيتورم الجسم كله الى درجة شديدة حتى ان فتحة العين لا تكاد ترى وتتورم البطن ويمتلىء الصدر والبطن وتصاب كلها بانسكاب مائى شديد يؤثر على عمل هذه الأعضاء .

خامسا : ولولا الكلوة لما امكن لأى انسان أن يتعاطى دواء دون أن يؤثر كثيرا على بدنه — اذ أن الفائض من الدواء ، أو الناتج بعد حصول الجسم منه على ما يريد أو الناتج من تفاعله داخل الجسم كله تفرزه الكلوة — وكذلك اذا تعاطى الانسان أدوية مخدرة بكميات كبيرة خطأ أو قصدا للانتحار تكون الكلوة هى المسئولة عن التخلص من هذا المخدر ، واذا لم تعمل أو تباطأت فى العمل كانت النهاية المحتومة اذا وصلت كمية المخدر الى المستوى القاتل .

سادسا : والكلوة كذلك تطرد خارج الجسم الفضلات من المواد البروتينية وغيرها نتيجة لتمثيلها داخل الجسم والتى اذا بقيت بداخله اضرته وسببت مضاعفات كثيرة ومن ذلك البولينا وارتفاعها بسبب التسمم بالبولينا ، وحامض البوليك وارتفاعه يسبب مرض النقرس ، وغير ذلك من المواد ..

سابعا : ولقد وجد حديثا ان الكلوة تفرز هرمونا يساعد على عملية تكون الكرات الدموية الحمراء ونقص هذا

الهرمون يقلل من نسبة هذه الكرات الحمراء فى الدم .

من هنا يتضح جليا ، ان وظائف الكلوة لها الأهمية القصوى على الجسم ، ولكى نلمس هذه الأهمية . احب أن أوضح للقارىء ماذا يحدث عندما يهبط العمل فى الكلوتين ــ اى أن البقية السليمة منهما لا تكفى للقيام بالمهمة المنوطة بهما ، وهذا ما يعرف بهبوط الكلوة والذى ينتج من امراض عدة منها التهاب الكلوة المزمن ــ انسداد الحالبين مع تضخم بالكلوتين أو تكيسهما ، مرض البول السكرى المتقدم،ارتفاع ضغط الدم المزمن، درن الكلوتين وتحدث كذلك فى الحالات الحادة عندما تصاب الأنابيب بتآكل شديد فجأة ولا يمكنها القيام بأى عمل .

كما يحدث فى الصدمات بعد الولادة والتى تكون مصحوبة بنزف شديد . او عندما يفقد الجسم كمية كبيرة من الدم إثر حادثة أو نزف ولا يذهب الدم الكافى الى الكلوتين وكذلك فى بعض الصدمات المصحوبة بهبوط شديد فى ضغط الدم . أو الفقدان الشديد لسوائل الجسم المختلفة كما هو الحال فى الاسهال الشديد ، أو النزف الشديد من الامعاء ، أو العرق الشديد المصحوب بهبوط فى ضغط الدم . وكذلك تهبط الكلوة نتيجة للالتهابات الشديدة فى الجسم ، أو أثر تعاطى أدوية تؤثر على الكلوتين وتضعف عملهما مثل مركبات الزئبق أو السلفا .

ويمكن للمرء أن يتصور مدى ما يعانيه الجسم من هبوطهما بعدما عرفنا تلك الوظائف التى تقوم بها الكلوة . ففى الحالات الحادة يقل البول أو ينعدم ، وفى الحالات المزمنة يكون البول كثيرا ولكنه غير مركز ويشبه الماء العادى الى حد بعيد لانه لا يحتوى على المواد العادية التى تفرز فى البول والتى لا يمكن للكلوة أن تفرزها الا بمقدار قليل ، لذا كانت شكوى المريض من انه يتبول عدة مرات ويضطر للقيام بالليل للتبول .

وفى حالة هبوط الكلوة أيضا يحتوى البول على بروتين (زلال) وكرات دموية حمراء واسطوانات . هذه الأشياء التى لا تفرز فى البول العادى وذلك لقصور الكلوة عن امكانية حجزها وردها داخل الجسم ويلاحظ على المريض انه شاحب اللون ، يحس باعياء شديد ، مع غثيان وقىء فى بعض الأوقات ، ثم تتغير حالته النفسية ، فتراه فى بعض الحالات خاملا ثم ارتباك وبلبلة فى افكاره ، واختلاط الامور عليه ، وفى الحالات الشديدة المتقدمة تعتريه غيبوبة تكون مصحوبة بتقلصات فى العضلات ، وفى بعض الحالات نزف شديد فى انحاء عدة من الجسم كالأنف والفم والجهاز الهضمى يزيد من شدة المرض مع احتقان الرئتين ، وترتفع نسبة البوتاسيوم فى الدم ، فتؤثر على جميع خلايا الجسم ، وكذلك

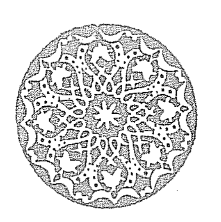
ترتفع نسبة البولينا وحامض البوليك وغيرها من المواد التى لا يمكن للكلوة افرازها الا وهى فى حالة سليمة .

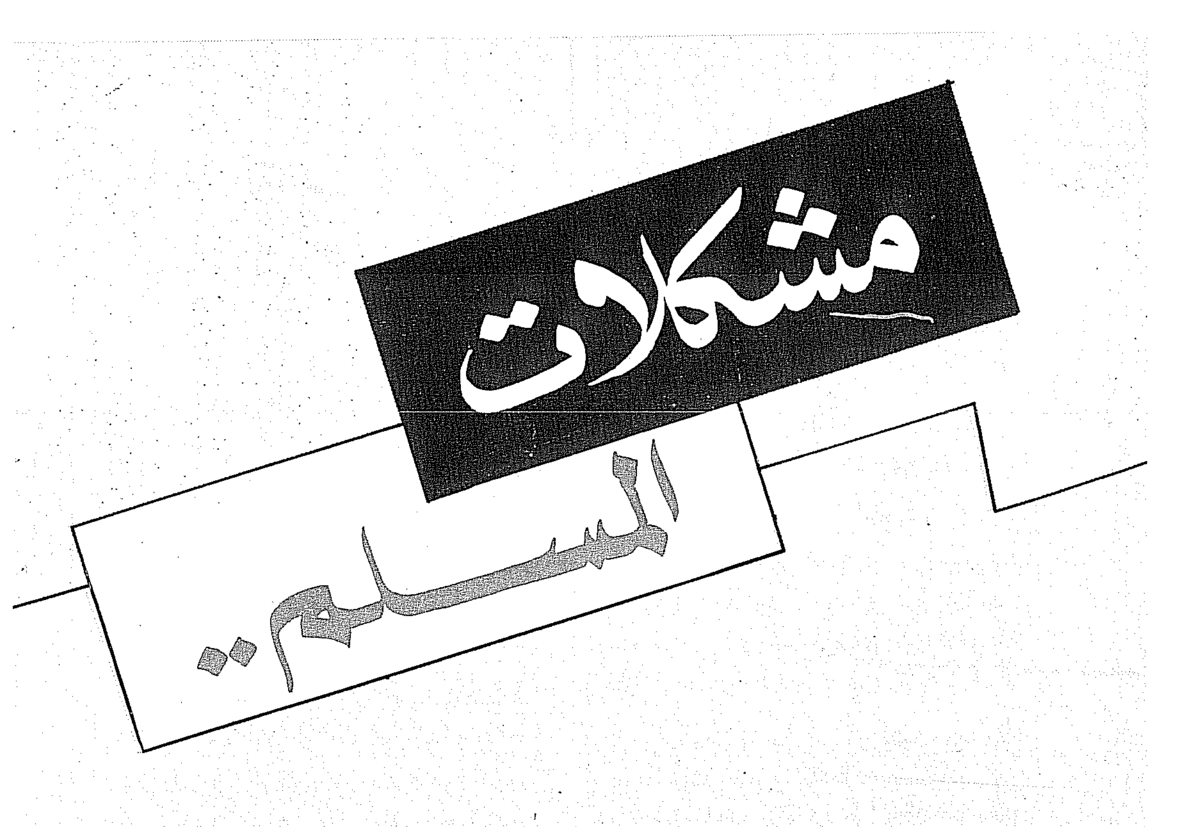
هذا ما يحدث عندما يتوقف هـذا العمل وهذه المصفاة الجبارة لبعض الوقت لفترة قصيرة ربمـا يومين ، واذا تخيلنا ما يقوم به الأطباء عندما يحاولون أن يقلدوا عمل الكلوة بجهاز خاص يسمى الكلوة الصناعية يعرف الانسان فضل ربه عليه ، فالجهـاز المستعمل ضخم يحتاج الى حوالىثلاث لترات من الدم أو اكثر ليعمل ثم يوصل دم المريض بالجهاز ويمر فى أنابيب يخرج منها بعد مروره لفترة ويكـون تركيبه قد عاد الى ما يشبه حالتـه الطبيعية ، وازيل ما به من مـواد ضارة بالجسم أو الزائدة عن حاجته وهذا العمل الذى تقوم به الكلـوة الصناعية يكون بشكل مؤقت وكمـا قلت لعدة ساعات ، ورغم ذلـك تحتاج الى جهد عدد من الاطبـاء ومساعديهم ، فما بالنا بكلـوة من صنع الرحمن تعمل ليلا ونهارا ، دون ما توقف لعمر الفرد ما شاء الله له ان يعيش وربما امتد الى نيف ومائة عام .

هذه هى الكلوة التى تدل على قدرة إلبارى جل وعلا سبحانه من خـالق قدير ، يخلق ما لا تعلمون .

مخلوقات تحير الالباب ـــ ولا يعرف كنهها الا خالقها . وصدق قول اللـه سبحانه : **(ومـا أوتيتم من العلم إلا قليلا)** سورة الاسراء من الآية ٨٥ .

وليحمد الله كل انسان يتمتع بصحة جيدة فلقد سخر الله له أعضاء فـى جسمه تعمل ليلا ونهارا لتحفظحياته ويعمل ويجاهد فى طمأنينة ويسر ، ولا يتسع المقام اذا عددنا الامراض التى تصيب الكلوة ، وما يعانيه الفرد اذا ابتلى بها ، وكما يقـال لا يحس الفرد بالنعمة الا اذا ابتلى بزوالها ، فمن هنا وجب علينا شكر الخـالق المبدع الذى من علينا وما زال بهذه النعم .





محمد المجذوب

الآن ، وقد انطوت الايام تلو الايام على فراق المواسم الروحية ، التى يعمر بها المسلمون رحاب الحرمين المباركين فى كل عام .. يجدر بالمؤمن أن يستعيد انطباعاته عنها ، ليحدد مدى آثارها فى نفسه وفى من حوله . واذا كان مثل هذا التقييم مجديا فى كل مكان من دار الاسلام ، فهو أجدى علينا نحن الذين اكرمنا الله بالمقام فى ظل بيته المطهر ، ومسجد نبيه الانور ، اللذين جعلهما مثابة المؤمنين ، يهفون اليهما من أدانى الارض وأقاصيها ، ليتعرضوا للنفحات القدسية ، وليغسلوا أرواحهم من أوضار الدنيا بشآبيب الرحمة ، التى خص بها الله تلك المناسبات التى لا تنسى ، وبخاصة فى هذه البقاع المكرمة ..

كان الحرمان كدابهما فى هذه المواسم الحبيبة مركز القلب من عالم المسلمين ، اذ أقبل اليهما كل من استطاع ، وانعم الله عليه بغشيانهما ، من مختلف الاقطار والالسنة والالوان حتى ليغصان ، على سعتهما ، بالوافدين قائمين وراكعين وقارئين .. فما يكاد ابن مكة والمدينة يجد معبرا يسلكه للمشاركة فى الصلاة .. لان سيل هؤلاء الاخوة قد تدفق حتى تجاوز ابواب الحرمين الى ماحولهما من السوح والرحاب ..

ولا جرم أن منظرا كهذا لا بد أن يؤجج الوهج الروحى فى قلوب أولى الالباب ممن يهمهم أمر الاسلام وعزة المسلمين .. واذن فلا مندوحة لهم

للأستاذ محمد المجذوب

عن التساؤلات : انها لغمرة الايمان الحق تحرك هذه الالوف المؤلفة ، فتدفعها بأشواق الحب الاعلى الى نشدان القرب والرحمة والمغفرة ولكن .. ما حصيلة ذلك كله فى واقع الناس اثر هذه المناسبة الكريمة .

ان الكتائب التى انطلقت من هذين الحرمين لاستئصال الردة الجاهلية ، ومن ثم لابلاغ العالم رسالة الله ، لم تكد تبلغ فى الاحصاء عدد هذه الحشود المقبلة على طاعة الله فى حرميه ، ومع ذلك فقد حطم الاولون عروش الطواغيت ، وركزوا الوية الاسلام من قلب الصين الى بحر الظلمات ، وأقاموا فى كل مكان وطئوه أسس الحضارة المثلى ، التى استمرت تظلل العالم طوال عشرة قرون ، ولا تزال تغذى العقول البشرية بروافد العلوم المنشئة للمدنيات حتى اليوم ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها .

أما هؤلاء فقد عجزوا دون استثناء أن يسهموا بأى أثر فى الحضارة ، أو فى تصحيح مسيرة الانسانية التائهة ، لانهم عجزوا عن اكتشاف انفسهم ، ونسوا بذلك رسالتهم ، فراحوا يتكففون أيدى الآخرين ، ويتسقطون الفتات من موائد المعربدين .

كيف حدث هذا التفاوت بين الاولين والآخرين ؟ .. ما بال النفوس الكبيرة قد مسخت ، والعقول المبدعة قد عقمت، والمواهب الضخمة قد تقلصت ، حتى فقدت الصلاة والصيام والحج والتهجد اسرارها المحيية ، فلم تعد تصنع العجائب ، كما فعلت فى السابقين ؟. وقصرت موحياتها على أوقاتها ، فما أن تنقضى حتى يعود هؤلاء الى مسيرتهم من مهامة الضياع، لايكادون يعرفون اينيتجهون، ولا يحسنون حتى التفكير بما يعملون ..

لقد كانت العبادة عند سلف هذه الامة مراكز تعبئة لمدخرات العزائم ، يلوذون بها لتنقية الطاقات من أسباب الخور العالقة بها من إغراءات الدنيا ، فاذا قضوا مناسكهم ، وغادروا معاكفهم ، كانوا صورة القضاء الالهى ، يهدم صروح الباطل ، ويشيد معالم الحق ، فلا تقف فى وجوههم قوة بشرية ولا شيطانية ، حتى ليستطيع كل

منهم أن يقول لبغاة الارض ما قالــه خالد لطغاة فارس : « **والله لـــو صعدتم الى السماء لأهبطكم الله الينا أو رفعنا اليكم حتى نقضى عليكم ..»**

أما نحن : خلفهم الذين آثـــروا دواعى الشهوات ــ فقد فرغنـــا العبادة من أرواحها ، فعادت كالزهر الصناعى ، له شكل الزهر وليس له أريجه ، وبذلك اختلفت نتائجها بيننا وبين اسلافنا ، فأولئك اتسعـــت بالعبادة آفاق نفوسهم،فكانوا عمالقة العالم الذى تضاءلت أناسيه حتـــى بدت كالاقزام بازائهم ، وفقدنا هـــذه الخاصة العجيبة فكلنا كالاقزام فـــى دنيا العمالقة !..

أولئك بانفتاحهم الروحى علـــى كتاب الله وحكمة رسوله صلى الله عليه وسلم تزودوا بالقوة التى مكنت لهم من أزمة البشرية ، فكانت الارض كلها وطنهم لا يكاد ينازعهم فيـــه منازع ، ونحن بانغلاقنا دون هـــذه المشارق أضعنا تراثنا،وسلبنا أوطاننا وبتنا من الذل بحيث نغزى ولا نغزو ، فى كل مكان ، وكأننا أشياء لا يأبـــه بها انسان ! .. وكل ما نطيقه شكوى نرفعها الى الاعداء ، أو صرخـــة تتلاشىء مع الهباء .. ثم يفـــرج المسئولون عن صدورهم بتدميـــر حصونهم ، وارهاب المخلصين مـــن أهليهم واخوانهم ، الذين كل ذنبهم انهم يقولون : ربنا الله ! ..

وبعد .. فهل من سبيل الـــى تصحيح هذه الاوضاع المقلوبـــة فنعيد للعبادة آثارها المسلوبة ، لكى نستعيد بها مركزنا الطبيعى مـــن قيادة الدنيا وهدايـــة القطعـــان الضالة ؟ !

مثل هذا السؤال كثيرا ما سمعته فلم أجد له جوابا الا فى هذا التقدير الالهى الجازم : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجـــا ويرزقـــه من حيـث لا يحتسب ..»** الطـــــــلاق / ٣ فبالتقوى اذن نجد المخرج من كل هذه المحن وذلك الضياع .. وبالتقـــوى يرزقنا الله كل ما يعوزنا من التأييد والعزة والانقاذ ..

والمهم أن يعلم المسلم ان التقوى ليست كلمة تقال ولا صلاة تقـــام ، وان كانت الكلمة الطيبة والصـــلاة الخاشعة بعض شروطها ، وانما هى برنامج حياة يعالج بمفرداته أمراض نفسه فى تسليم مطلق لاوامر الله ، وانزجار واع عن مناهيه ، فلا يحب الا فـــى اللـــه ، ولا يبغض الا له ، وكل علاقة بينه وبين غيره فعلـــى أساس من هذا المنهج الربانى ، الذى يقرره سبحانه بقوله الجامع المانـــع « **قل أن كان آباؤكم وأبناؤكـــم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكـــم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحـــب اليكم من الله ورسوله وجهاد فـــى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين .»** التوبة /٢٤ ..

وتلك هى الركيزة العظمى التـــى عليها نهض كيان المجتمع الربانى فى ظل كل نبى ولا سيما فى ظـــلال خاتمهم ، صلوات الله وسلامـــه عليهم أجمعين ، حتى لم يكن للمؤمنين

من رابطة تعدل رابطة الاسلام ، فهو منطلق الاخوة ، ومنه تستمد الصلات الاجتماعية مقوماتها وقيمها .. وقد رأينا نبى الله نوحا عليه السلام يتوب الى ربه ويستغفره من استرحامه لولده ، بعد أن اتضح له انه من اصحاب الجحيم ، ورأينا بعده ابراهيم عليه السلام يتبرأ اليه سبحانه من ابيه لما تبين له انه عدو لله ، وفى الصدر الاول لهذه الامة رأينا الصحابى يقتل أباه وأخاه ، ويخاصم كل نسيب وقريب فى مرضاة الله ورسوله ، ولا تزال كلمة الفاروق تدوى فى مسمع التاريخ يوم أشار على رسول الله فى أعقاب غزوة بدر قائلا : « أرى أن تمكننى من فلان — قريبه — فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين » . (منتخب السنة) .

لا جرم أن التحقق بهذه الصفات أمر قصى المنال ، ولكنه الامر الذى لاخيار فيه ، فنحن أمة كتاب هو خاتم رسالات الله ، فلا كيان لنا الا عن طريقه وبالتزامه ، بيد أن الرضى بهذا الواقع المحتوم والتحرك باتجاهه كفيلان بتحقيق ما نتوهمه من المستحيلات . وفى سورة الحديد من كتاب الله بشرى ما أحوج المسلمين الى تدبرها والانتفاع بها فى كوارثهم الساحقة . انه سبحانه يذكرنا بالتحجر الذى انتهت اليه قلوب أهل الكتب السابقة بسبب انصرافهم عن سبيلها ، فيحذر المؤمنين من الوقوع فى مثل تجربتهم « .. **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**) آية/١٦ .

ثم لا يلبث أن يلفتنا الى الوسيلة التى تنقذنا من ذلك المصير الرهيب ، الا وهى العودة الى كتاب الله ، فهى كفيلة بأن ترد الى قلوبنا الحياة بعد الموت ، والى عزائمنا القوة بعد الفوت ، والى سمعتنا المهابة بعد الذلة ، كما يرد الغيث الى الارض حياتها (**اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون**) الحديد /١٧ !!!

أجل .. ذلك هو الطريق السوى الى استرداد حقيقة اسلافنا ، ثم الى استنقاذ أوطاننا ، واستعادة عزتنا .. ورضى الله عن الفاروق الذى احاط بهذه الحقيقة أيما احاطة، اذ قال لاخيه ابى عبيدة عليهما رضوان الله : « نحن قوم أعزنا الله بالاسلام ، ومهما نبتغ العزة بغيره أذلنا الله .. »

وان الصعود الى هامة القمة لأمنية من حقها ان تراود كل مؤمن يعيش مأساة أمته فى هذه الآونة ، التى تتكالب فيها أمم الشرق والغرب على المسلمين . ولكن تعيين الوسائل الضامنة لتحقيق هذه الأمنية لا يعقله إلا العالمون ..

ان المشكلة فى رأيى المتواضع ذات وجوه ، كل منها مشكلة لا مندوحة عن معالجتها أولا فى ضمائر الشعوب .

وما احسب ثمة متسعا للخلاف

على ان فى راس مشكلات المسلم المعاصر ، التى تحول دون استرداده لشخصيته هذه المعوقات الاربع :

١ ــ الاختلاف فى نظام العقيدة
٢ ــ العصبيات المذهبية
٣ ــ الركض وراء المغريات
٤ ــ اسقاط الجهاد من حياة المسلم .

أما موضوع العقيدة فهو نقطة الانطلاق التى على صحتها يتوقف مصير الانسان كله ، ومن هنا كان التركيز على تصحيحها وتوضيحها هو الركن الاساسى فى مهام النبيين، ومن سلك سبيلهم من المصلحين ، وهو القاعدة التى قدمها رسول الله لصناديد قريش،يوم جاؤوا يفاوضون عمه ابا طالب بغية اصلاح ما بينه وبينهم ، فقال لهم : « نعم .. كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم .. تقولون : لا إله الا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه » ..

وكان مفهوم كلمة التوحيد من الوضوح فى اذهان زعماء المشركين يومئذ بحيث لم يجدوا حاجة الى اى جدل فى شأنه ، فرسول الله لا يقبل منهم الا التحرر الكامل من كل عبودية لغير الله ، وهم لا يريدون الانسلاخ من تقاليد الآباء ، ولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، لذلك كان جوابهم : والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا،

انه توجيه الولاء كله لله ، فكما انه هو الرزاق الخلاق وحده ، كذلك هو المتفرد بحق الطاعة والعبادة واسلام النفس ، حتى لا يطاع مخلوق فى معصيته كائنا من كان ، وبالغا ما بلغ من السلطان .

وفى نطاق هذه التربية الربانية من معانى (لا إله الا الله) تكون الجيل الأول من مدرسة النبوة ، ومن هذا المنطلق تحركت طاقاته المتكاملة لتحرير الجزيرة ثم لتحرير العالم كله من ظلمات الجاهليات . وقد مضى أولئك يجاهدون فى سبيل الله على هدى من الله ، وعلى أتم الانسجام مع سنن الكون ، لاتمزقهم صراعات الاشكال المتناقضة ، ولا تخدعهم عن الحقيقة التى آمنوا بها بهارج الفلسفات المتضاربة ، فكانوا الدم الجديد فى شرايين الجسم البشرى يرد اليه الحياة بعد أن شارف الموت ، ثم خلف من بعدهم خلف آده ثقل الامانة ، واستهوته الشياطين ، فاذا هو فريسة الضياع الفكرى إلا من رحم الله .. وهكذا تمت مشيئة الله بتفكك هذه الأمة الى عشرات الفرق ، كل حزب بما لديهم فرحون .. وساق ذلك التمزق فتنا ومحنا اغرقت ديار الاسلام فى لجج من الدماء لم تجف حتى الساعة !..

ولنقف من هذه المآسى عند حدود الولاء ، الذى ما برح يفتت طاقات المسلمين ويهدر إمكاناتهم الكثيرة .

إن الولاء الذى كان فى ظل التوحيد الخالص منصرفا الى الله وكتابه وسنة نبيه ، قد بات اليوم موزعا بين مختلف النوازع .. فولاء الشيوخ زعموا لنفسهم حق التشريع ، فبه يفرضون على مريديهم كل

ما يخد[illegible]هم ويضخم زعامتهم ، الى [illegible]طواغيت فرضوا سلطانهم على شعوبهم بقوة الحديد ، فبهذه القوة يسلخونهم من شريعتهم ، ويحكمونهم بما اخترعوا أو اجتلبوا لهم من أنظمة شيطانية ، لا مردود لها سوى التمكين لعوامل الفرقة ، فى شحناء تذهب بريحهم جميعا لمصلحة أولئك المتسلطين وحدهم !! ..

ولعلنا لا نفاجىء القارىء بجديد اذا قلنا : إن كثيرين جدا من المصلين ، الصائمين الحاجين المعتمرين المعتكفين لا يرون اى بأس فى أن يهبوا تأييدهم وتصفيقهم لطواغيت غاشمين ، او متحكمين ملحدين احلوا قومهم دار البوار ! ..

وان غير قليل من هؤلاء المغفلين يعلنون فى غير جمجمة : ان الاسلام شىء والسياسة شىء ، وان من توقيرنا للاسلام ، أن نقصيه عن نطاق السياسة ، كما يقرر صاحب كتاب (الاسلام واصول الحكم) ومن تبعه من المضللين ! ..

وان بين هؤلاء وأولئك لرجالا من ذوى الشهادات العليا جدا يقصدون البيت الحرام والمدينة المنورة ، مدفوعين الى ذلك بحافز الفطرة العطشى الى غير الاشربة المادية ، دون أن يعرفوا أى شىء عن الاسلام ، حتى الصلاة التى هى العهد المميز للمسلم لا يعلمون كيف يؤدونها ، ويستنكفون أن يسألوا من يحسن توجيههم الى صحة ادائها ! ..

وليسمح لى صديق عزيز أن أعلن الآن ما أسر به الى من ان احد هؤلاء قد كاشفه ، وهو بجوار احد ، انه لا يدرى اى خبر عن غزوة احد ! ..

وهل أنا بحاجة الى التوكيد مرة ثانية أن من غير المبالغة الزعم بأن هؤلاء يؤلفون الكثرة الكاثرة من سواد المسلمين !

واذا صح هذا وهو صحيح ، فأى عجب الا نلمس لعبادات هؤلاء من ثمرة فى نطاق الحياة العامة ، والا تزودهم عبادتهم تلك بأى حافز لمقاومة البغاة ، العادين على اوطانهم ومقدساتهم ! ..

وطبيعى أن مجرد فقدان الجماهير ضوابط الوعى الاسلامى هو الذى يجردهم من كل حصانة ضد التبعيات العمياء على اختلاف اشكالها ..

وليس التعصب المذهبى ، الذى يزين لصاحبه ايثار امر الشيخ على حكم الله ورسوله ، والذى لا يزال يؤرث الشقاق بين أهله ،سوى بعض المضاعفات الناتجة عن هذا الداء ،وهل هذا التعصب الهدام الا احدى ظواهر الانحراف عن مهيع الاسلام ، الذى يلزم المسلم أن يتجرد من كل ولاء لغير الله ورسوله ؟ ..

ثم نتساءل : ما الذى يسوق المسلم الى الركض وراء سراب الدنيا من المتاع الزائل ، حتى يكاد يحصر كل همه فى حدود الدخل المادى ، ومستوى المعيشة ، والمزيد من العلاوات ،واهتبال كل الفرص للضرب فى الارض .. ثم القاء أزمته ومن تحت ولايته الى اكف الشياطين من سفهاء الناس ، يتابعونهم فى كل

حركة وسكنة ، حتى لو دخل احدهم جحر ضب لدخلوه وراءه ! .. اليس ذلك كله دليل تميع الشخصية ، وفراغ القلوب من المقومات التى تملأ كيان المؤمن يقينا بأنه شاهد الله على الخلق ، والمسئول عن قيادة الزائفين الى سبيل الحق ! .. فكيف به يرضى أن يكون الإمعة الذى لا يتماسك عن الاستجابة لكل ناعق !..

واذا نحن احطنا بهذه الوقائع،وتبينا ما بينها من الوشائج ، لم نستغرب أن ينتهى المطاف بالمسلم — الذى هذا شأنه — الى اسقاط فكرة الجهاد من حياته كليا ، لان فاقد الشعور بالمسئولية لا يستطيع الارتفاع بتفكيره الى مستواها .. ومن ثم فأى محرض يمكن ان يغريه بالمغامرة فى صراع قد يكلفه راحته وماله ونفسه ! .

لقد فهم الجيل الاول من الصحابة ومن تبعهم معنى الامر الحاسم فى قوله تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا ..**)التوبة /٤١ ..

فلم تشغلهم متعة ولا رغبة عن النهوض بواجب الجهاد ، اذ كان كل منهم مثال المؤمن الذى وصف رسول الله مدى استعداده للجهاد بأنه (.. ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة — استغاثة — طار اليها) حتى كان من الصحابة الشيخ الفانى يتوقع الاجل بين يوم ويوم ومع ذلك يرى دائبا على تعهد الرمى خشية أن ينساه،وحتى كان من التابعين من فقد القدرة على القتال ، ومع ذلك يأبى الا صحبة المجاهدين لخدمتهم وحراسة امتعتهم ، فاذا قيل لهذا أو ذاك : إن شيخوختك قد أعفتك من هذا العبء ، اجاب .. ولكن الله لم يعف أحدا حين قال: (**انفروا خفافا وثقالا ..**)

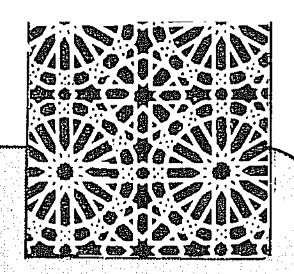
من اجل ذلك كان الحث على الجهاد احد العناصر الكبرى فى البيان الخلافى الاول ، الذى خاطب الصديق به اخوانه من الرعيل الاول فقال : « لا يدع قوم الجهاد ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل .. »

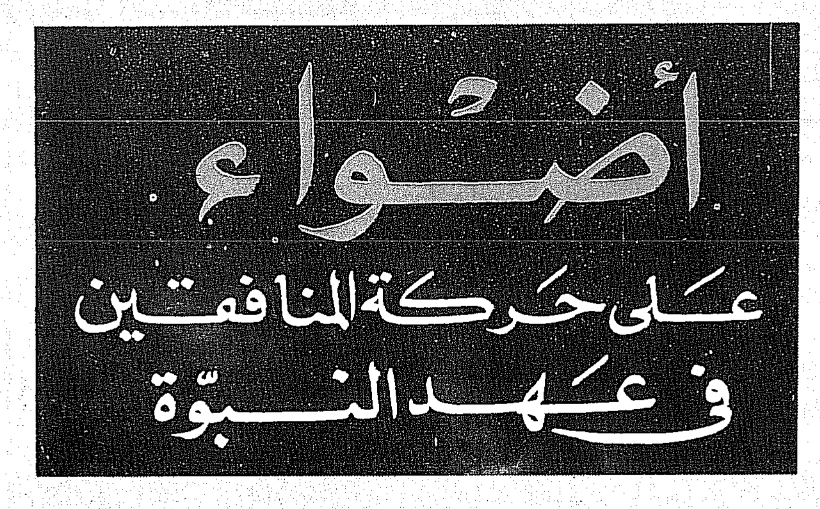
وعلى هذا السنن جاء خطاب ثالث الراشدين كرم الله وجهه ، الذى كان ابرع نص ادبى يصور جلال الجهاد وأهميته فى حماية البيضة وصيانة العزة ، وفيه قولته الشهيرة : « اغزوهم قبل أن يغزوكم .. فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا »

وهل بقيت ثمة حاجة لتوكيد هذه الحقيقة ، بعد أن لمسنا بكل واقعنا مدى الذلة التى استحوذت على المسلمين منذ مكنا لأحفاد قريظة والنضير وقينقاع من نقل المعركة الى قلب ديارنا !!

قلت فى مستهل هذه الانطباعات : ان المشكلة ذات شعب لا مندوحة عن معالجتها فى ضمائر الشعوب ... والحق انى عاجز عن تحديد الشكل الأفضل لهذه المعالجة ، ولا سيما بعد ان اصبحت ازمة التربية بل (الثقافة والارشاد) منوطة بتنظيمات تملى معظمها ارادات متسلطين ، لا يرون من مصلحتهم الاهتمام بصيدلية الاسلام !! ..

والأمر لله من قبل ومن بعد ..





« الحلقة الرابعة »
والاخيرة

للاستاذ عبد القادر طائش التركستانى

● **دور المنافقين فى غزوة الاحزاب :**

كان لليهود فى تحزيب الأحزاب وتأليبهم ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم دور رئيسى . فلقد قاموا بدعوة القبائل العربية لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين . وكانوا يريدون من وراء ذلك الانتقام من المسلمين الذين اجلوهم عن المدينة قدموا على قريش فحرضوهم على القتال قائلين : انا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم . وجاءوا غطفان فدعوهم ومنوهم . فخرجت قريش . وخرجت غطفان قاصدتين يثرب للقضاء على الاسلام ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ضرب الخندق على المدينة وبعد فراغه من الخندق اقبلت قريش وغطفان وخرج اليهود حتى أتوا اخوانهم من بنى قريظة — وكانوا قد وادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوه على عدم الحرب — ومازالوا بهم يمنونهم ويعدونهم حتى استجابوا لهم فنقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف على المسلمين ، (**واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله**

الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنـــون وزلزلـــوا زلـــزالا شـــديدا) الأحزاب / ١٠ ، ١١ حتى كـــان ليلهم فى الخندق نهارا ولم يقدروا على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء .

ووجد المنافقون فى الكرب المزلزل والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبايا نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد . وكان عملهم فى هـــذه الغزوة يتلخص فى الأمور التالية : ـــ

١ ـــ الاستهزاء والسخرية من وعد الله والسعى بالفتنة . فقد قالوا : كان محمد يعدنا أن نأكـــل من كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يأمن نفسه ان يذهب الى الغائط ! (**واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهـــم مرض ما وعدنا الله ورسولـــــه الا غرورا)** الاحزاب ـــ ١٢ .

٢ ـــ الخوف من القتال والجبن عند النزال . وقد صور القرآن الـــكريم ذلك فى صورة مضحكة تثير السخرية بأولئك الجبناء فيقول (**فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت)** الاحزاب ١٩ . وهم من شدة خوفهم وارتعاشهم لا يصدقون أن الاحزاب قـــد ذهبت **(يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون فى الاعراب يسالون عن انبائكم)** الاحزاب ٢٠ يا للسخرية .. **إنهم** يتمنون أن لو كانوا من أعراب الباديـــــة فـــلا يشاركون أهل المدينة فى حيـــاة ولا مصير ..

٣ ـــ الاستئذان فى عدم القتـــال والرجوع الى المدينة بحجة أن بيوتهم عورة للعدو متروكة بلا حمايـــــة ، والحقيقة غير ذلك (**ويستاذن فـــريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عـــورة وما هى بعورة أن يريدون إلافرارا)** الاحزاب ١٣ .

٤ ـــ وفوق تخلفهم عن القتـــال واعتذارهم عن الجهاد بتلك الاعذار السخيفة فهم يحرضون المؤمنين على ترك الصفوف والعودة الى المدينة بحجة أن بيوتهم معرضة للخطـــــر وراءهـــم . (**واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا)** الاحزاب ١٣ (**(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الى قليلا)** الاحزاب ١٨ .

٥ ـــ وبعد أن ذهب الخوف وجـــاء الامن خرجوا من الجحور وارتفعت أصواتهم بعد الارتعـــاش وانتفخت أوداجهم بالعظمة وظهروا بعد الانزواء فى غير حياء ما شاء لهم الادعاء مـــن البلاء فى القتال والفضل فى الاعمال والشجاعة والاستبسال قال تعـــالى **فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالســـنة حداد)** الاحزاب ١٩ .

ولكن رغم هذا الهول والكـــرب والشدة والضيق فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثابـــة الامن للمسلمين ومصدر الثقة والرجـــاء

والاطمئنان ومن ثم قال المسلمون **(هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما)** وكان منهم **(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)** الاحزاب ٢٢ ، ٢٣ وانتهت المعركة بأن **(.. رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا وعزيزا . وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شىء قديرا)** الاحزاب ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

● فى غزوة بنى المصطلق : ـــ

جمع سيد بنى المصطلق ـــ وهم من اليهود ـــ لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارسل الرسول اليهم « بريدة به الحصيب » ليعلم علم ذلك فذهب واكتشف حقيقة نوايا يهود ثم أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره . فخرج المسلمون لقتال بنى المصطلق . وخرج معهم المنافقون فى كثرة لم يخرجوا قط فى مثلها وكان على رأسهم زعيمهم « ابن سلول » وكان للمنافقين فى هذه الغزوة دوران هامان كان لهما اثر كبير وبلبلة شديدة كادت أن تشعل فتنا مستعرة لولا أن عصم الله المسلمين وفضح ألاعيب المنافقين

الدور الاول : ـــ هو بذر الفتنة والشقاق بين المهاجرين والانصار وتوسيع شقة الخلاف بينهم لسبب تافه فقد اختلف اثنان من المسلمين احدهما من الانصار والآخر من المهاجرين حتى اقتتلا فصرخ الانصارى يا للأنصار . وصرخ المهاجرى : يا للمهاجرين .. فاستغل عبد الله ابن ابى هذه الفرصة ليكيد كيده ويخرج ضغنه وحقده . فقال : أوقد فعلوها . قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا . والله ما عدنا وجلابيب قريش الا كما قال الاول : سمن كلبك يأكلك . اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. ثم اقبل على قوم فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم . أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم . أما والله لو امسكتم عنهم أيديكم لتحولوا الى غير داركم .. وهنا تظهر القمة السامقة التى رفع الايمان اليها اتباعه فقد أنبرى من بين المسلمين عبد الله بن عبد الله بن أبى مثال المؤمن المتجرد الطائع الذى شقى بأبيه وضاق بافاعيله وخجل من مواقفهفطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ـــ ان كان يريد قتل أبيه ـــ ان يأمره هو بقتله وهو لا بد مطيع .!! ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الرحيم الرؤوف الحكيم ـــ يقول له : بل نترفق به ونحسن صحبته ما

بقى معنا . واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع الفتنة قبـــل استفحالها فأمر بالرحيل فى ساعـــة لم يكن يرتحل فيها لشدة الحـــر . ولكنه اراد ان يشغل الناس بالرحيل والسفر عن كثرة القيل والقال التى اثارها رأس النفاق .

والدور الثانى : الذى لعبـــوه فى هذه الغزوة هو « حديث الافك » فقد حدث اثناء رجوع المسلمين من غزوة بنى المصطلق ان اذن المؤذن بالرحيل وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها فى الجيش فذهبت بعيدا لقضــــاء حاجتها فلما عادت افتقدت عقدا لهـــا فذهبت تبحث عنه . فلمـــا رجعت وجدت الركب قد سار . وقد ظنـــوا انها فى هودجها . إذ كانت خفيفة المحمل . فحمل الهودج دون تأكد .. فظلت عائشة فى مكانها وذهبت فى النوم فمر بها صفوان بن المعطـــل فعرفها فايقظها واناخ لها ثم سار بها الى المدينة فلما رأى « ابن أبى » ذلك قال : فجر بها ورب الكعبة .. ما نجا منها ولا نجت منه .. وصار يقـــول ايضا : امراة نبيكم باتت مع رجـــل حتى اصبح . وراح يشيع ذلك فى المدينة ويفشيه ويحركه ولا يدعه يخمد واشترك معهم المنافقون بكل وسائلهم الملتوية حتى بلغ من خبث هذه الفتنة ان ماجت المدينة بالفرية التـــى لا تصدق أبدا . ولاكتها السنة المسلمين وأصبحت موضوع حديثهم لشهر كامل ولقد كلف ذلك الحادث وهذا الحديث قلب الرسول صلى الله عليه وسلم آلاماشديدة وكلفالامة المسلمةتجربة شاقة وعلق قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلب عائشة التـــى يحبها وقلب أبى بكر الصديق وزوجه وقلب صفوان بن المعطل شهرا كاملا علقها بحبال الشك والقلق والألم الذى لا يطاق وعندما تصل الآلام الى ذروتها على هذا النحو يتعطف عليه ربـــه فيتنزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة وبراءة بيت النبوة الطيب الرفيع ويكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الافك ويرسم الطريق المستقيم للجماعة المسلمة فى مواجهة مثل هذا الشأن العظيم .. وهـــكذا لعب المنافقون فى هذه الغزوة هـــذين الدورين الخطرين ، وكان هدفهـــم القضاء على الاسلام بدافع الحقـــد والحسد والضغينة ولكن الله ابطل كيدهم وكذب افتراءاتهم (**لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم**) النور ١١ .

● فى غزوة تبـــوك : ـــ

فى رجب سنة ٩ هـ امـــر الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمان من عسرة الناس وشدة من الحر وجـــدب من البلاد . وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهـــم ويكرهون الشخوص على الحال مـــن الزمان الذى هم عليه وكان الرسول

صلى الله عليه وسلم قلما يخـــرج فى غزوة الا كنى عنها واخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له . الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العـــدو ليأخذ الناس اهبتهم فأمر النـــاس بالجهاز واخبرهم انه يريد الـــروم وكعادة المنافقين فى كل غزوة فقـــد كانت لهم فى هذه الغزوة مـــواقف نجملها فيما يلى : —

١ — الاستئذان فى التخلف وانتحال الاعذار لذلك فقد استأذن بعضهم فى التخلف مخافة الفتنة ببنات الـــروم وفيهم نـــزل قولـــه تعـــالى **« ومنهـــم من يقـــول : ائـــذن لى ولا تفتنى . ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين »** التوبة ٤٩ — وقد عاتب الله سبحانه رسوله على اذنه لهم **(عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)** التوبة ٤٣ .

٢ — تثبيط الهمم . فانهم كعادتهم لم يكتفوا بالتخلف والقعود بل راحـــوا يثبطون همم العامة بوسائل متعددة كالاستهزاء والتهكـــم والسخريـــة والتخويف **(وقالوا : لا تنفروا فـــى الحر)** وقد كان بعضهم يقول لبعض أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتـــال العرب بعضهم بعضا . والله لكأنا بكم غدا مقرنين فى الحبال . وكـــانوا يستهزئون بالمسلمين ويسخرون منهم حتى قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء .. وكانت جماعة منهـــم يجتمعون فى بيت (سويلم اليهودى) يثبطون الناس عن رسول الله فبعث اليهم صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله فى ففر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل ثم سار المسلمون بعد أن فشل المنافقون فى دعاياتهم وأراجيفهم وهذه الحقيقة تعطينا صورة واضحة لجامعة التآمر فى الظلام التى تجمع بين المنافقين ومن بقى من اليهود فى المدينة وتؤكـــد الارتباط الوثيق بين الفئتين .

٣ — وعندما يئس البائس « ابن ابى » بعد فشل دعايته جمع الناس حتى احتشد نفر منهم تحت لوائـــه وظن أنه سيستطيع خداعهم وكـــان غرضه من ذلك أن يجمع قومه ومن فى قلوبهم مرض والمتشككين ثم يرجع بهم الى المدينة وفعلا فقد خطب فيهم ثم رجع بهم ظانا انه قد يؤثر عليهم ذاك فى بلبلة الصف المسلم ولم يـــدر أن خروج المنافقين مع المسلمين لا يزيدهم الا ضعفا وصدق الله **(لو خرجـــوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا . خلالكم يبغونكم الفتنة)** التوبة ٤٧ .

٤ — الارجاف فى المدينة واستغلال الفرصة لبث الفتنة فقد خلت المدينة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذهب معه المسلمون الاشداء فخـــلا بذلك الجو لهم فعملوا على ملء المدينة بالاراجيف والدعايات الكاذبة حتـــى

اصبحت المدينة تئن من اذاهم وسفههم ومن ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد خلف على بن ابى طالب على اهله وامره بالاقامة فيهم فما كان من المنافقين الا ان ارجفوا بعلى وقالوا : ما خلفه الا استثقالا له وتخففا منه . فلما سمع رضى الله عنه ذلك أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى الرسول وهو نازل بالجرف وقال : يا نبى الله . زعم المنافقون انك انما خلفتنى لانك استثقلتنى وتخففت منى فقال : كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائى . فارجع واخلفنى فى اهلى واهلك افلا ترضى يا على ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى . الا انه لا نبى بعدى . فقال على : رضيت ثم رضيت ثم رضيت . ورجع الى المدينة . وقبل مقدم الجيش الى المدينة بعد المعركة أطلق المنافقون اشاعة بأن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكوا .

٥ ــ التآمر لاغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم : ــ فقد اتفق جماعة من المنافقين على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم وطرحه من العقبة بين تبوك والمدينة وذلك عند رجوعه من الغزو . واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تآمروا عليه فأمر الناس بالمسير من الوادى وصعد هو العقبة مع اولئك النفر وقد تلثموا . وامر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه فبينما هم يسيرون اذ سمعوا بالقوم قد غشوهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابصر حذيفة غضبه فرجع اليهم ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه فلما راوا حذيفة ظنوا أن قد ظهر على ما اضمروه فاسرعوا حتى خالطوا الناس واقبل حذيفة حتى ادرك رسول الله فأمرهما ــ حذيفة وعمار ــ فاسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينتظرون الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة : هل عرفت هؤلاء القوم ؟ قال : ما عرفت الا رواحلهم فى ظلمة الليل حين غشيتهم . ثم قال : علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب قالا : لا فاخبرهما بما كانوا تمالأوا عليه ، وسماهم لهما واستكتمهما ذلك فقالا : يا رسول الله افلا تأمرنا بقتلهم . فقال : أكره أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه .

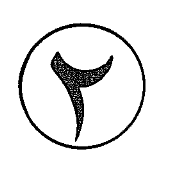
قال ابن كثير فى البداية والنهاية : وقد ذكر ابن اسحق هذه القصة الا انه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم انما أعلم باسمائهم حذيفة بن اليمان وحده . وهذا هو الأشبه والله أعلم .

٦ ــ الاعتذار : ولما قدم صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد الغزوة اقبل عليه المخلفون يعتذرون . . وكان منهم **(آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم)** التوبة ١٠٢ . اما المنافقون فقد جاءوا يعتذرون بالحمى والاسقام وغير ذلك

من الاعذار وجعلوا يحلفون للنبى (صلى الله عليه وسلم) . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بألا يكلموا أحدا ممن تخلف فلما حلفوا له وسمع اعذارهم فكأنه رحمهم فاستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله ويظهر أن طائفة منهم أرادت أن تظهر توبتها وانها مستعدة للخروج فقال الله تعالى لرسوله **(فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل : لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين)** التوبة ٨٣ .

٧ ـ مسجد الضرار : كان أبو عامر الراهب (أحد زعماء المنافقين) قد سافر مع وفد من المنافقين الى ملك الروم يستنصره على الرسول صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه فكتب الى قومه بذلك وأمرهم أن يتخذوا له معقلا منعزلا ليستقبلوا فيه رسله وكتبه وليكون مرصدا لهم اذا قدم عليهم بعد ذلك . فبنوا لهذا الغرض مسجدا بجوار مسجد قباء وصاروا يعقدون فيه اجتماعاتهم . وقد دفعهم حرصهم على التستر والتمويه والخداع أن أرسلوا خمسة منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا : يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه فتدعو لنا بالبركة . ولكن الرسول اعتذر اليهم بسبب خروجه الى تبوك ووعدهم بالصلاة فيه حين رجوعه . وعندما رجع صلى الله عليه وسلم أتاه فريق المنافقين بدعوته الى الصلاة فى مسجدهم فتجهز رسول الله لذلك فنزل قوله تعالى « **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وأرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)** التوبة ١٠٧ ــ ١١٠ وعند ذلك دعا صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه وقال لهم : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه . فذهب النفر فحرقوا المسجد وهدموه حتى وصل الهدم الى الارض . وبعد هذه الحادثة بقليل هلك رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول . وكان موته إيذانا باندحار عصبة المنافقين وانكسار شوكتهم بعد أن تبددت آمالهم وانكشفت ألاعيبهم وفضحهم الله سبحانه فى تنزيله الكريم .

« والله غالب على أمره »



التسامح الديني والتحرر الفكري في الإسلام

للاستاذ حسن فتح الباب

الشواهد التاريخية على رعاية الذميين :

لقد اغتبط المسلمون بانتصار المسيحية التى يمثلها الروم بزعامة هرقل على المجوسية التى تمثلها الفرس بزعامة كسرى سنة ٦١٤ ميلادية ، ذلك أن المسيحية أهل كتاب كالمسلمين . وقد ظلت خلة الاخاء بين اتباع محمد واتباع عيسى وثيقة فى حياة النبى برغم ما كان بين الفريقين من مجادلة ، على خلاف ما كان بين المسلمين واليهود من تهاون أول الامر ثم عداوة استمرت بخيانة اليهود وانتهت بهزيمتهم ، ومصداق ذلك قوله تعالى :

((**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون**)) (المائدة / ٨٢) .

وبرغم عدم اقرار المسيحية بنبوة محمد كما يقر الاسلام بنبوة عيسى وبرغم عداوة اليهود للاسلام وخياناتهم له ، احسن المسلمون معاملة الجميع وكفلوا لهم حرية العقيدة . وعلى حين قاوم المسيحيون من الرومان دعوة الاسلام وبدأوا يأتمرون به وبأهله ، وشنوا عليهما الحروب التعصبية ، ظل المسلمون على تسامحهم ، فالتزموا فى حربهم موقف الدفاع ، وحين انتصروا لم يكرهوا أعداءهم على الدخول فى الاسلام ، عملا بأحكام القرآن فى رعاية أهل الكتاب وكفالة حقوقهم ، وبوصية الرسول بالمعاهدين والذميين خيرا ، وما جاء بكتابه الى المقوقس عظيم القبط من دعوة الى الدين دون الزام او اكراه . .

والشواهد التاريخية على ذلك فى عهد الرسول وخلفائه لا تقع تحت حصر . فقد أقام المسلمون علاقات ودية حميدة مع المسيحيين من اهل الحبشة ، ولم يفكروا يوما — وهم فى قمة انتصاراتهم — فى التطلع الى فتح

هذه البلاد ، ذلك انها لم تقف فى وجه دعاتهم بل كفلت لهم حرية الرأى ، فحق على المسلمين احترام حريتها فى العقيدة .

وقد بلغ من شأن كفالة الحقوق المدنية والاجتماعية والاقتصادية للذميين ما روى عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب حين رأى شيخا يهوديا يتكفف الناس ، فسأله عن السبب فأجاب : إسأل الجزية والحاجة والناس . فقال عمر : « ما انصفناك ، أكلنا شبيبتك وتركناك عند الشيخوخة » وأمر بطرح جزيته ، وأن يعال من بيت مال المسلمين هو وعياله .

الجزية نظير المنعة :

من ذلك قول سيف الله خالد بن الوليد فى حديثه عن سياسته فى الاقطار التى رفرف عليها علم الاسلام : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ــ طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام » . وكذلك ما كتبه هذا القائد الاسلامى العظيم الى (صلوبا بن نسطونا) وقدمه حين أوغل فى الفرات فى شهر صفر من العام الثانى عشر للهجرة : « انى عاهدتكم على الجزية والمنعة ، وما منعنا لكم فلنا الجزية والا فلا » .

كما ورد هذا المبدأ أيضا فى رد الامراء بأمر أبى عبيدة فى حمص ما كانوا أخذوه من الجزية الى أهلها وما اليها حين جلوا عنها ليتجمعوا لقتال الروم وقالوا لأهل البلاد : « انما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم قداشترطتم علينا أن نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك الآن ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم أن نصرنا الله عليهم » . وكذلك فعل أبو عبيده فى دمشق حين كان يتجهز لليرموك . وكتب مويد بن مقرن قائد عمر لزريان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان فى العام الثامن عشر للهجرة : « ان لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء فى كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال ، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه أى جزيته » . وكتب عقبة بن فرقد عامل عمر لأهل أزربيجان : « .. ومن حشر منهم فى سنة (أى جند) وضع عنه جزاء تلك السنة » .وورد مثل ذلك فى عهد سراقة عامل عمر لشهر براز : « .. أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه لوالى صلاحا ، على أن يوضع الجزاء عمن اجاب الى ذلك .. فان حشروا وضع ذلك عنهم » . وصالح الجراجمة قرب أنطاكية المسلمين « على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومصالح فى جبل اللكام والا يؤخذوا بالجزية » .

وقد اطرد انتشار حرية العقيدة بانتشار الاسلام عبر العصور اللاحقة فى السلم والحرب معا ، وسايرتها المساواة بين المسلمين وغيرهم

من اصحاب الديانات . وحفظ لنا التاريخ وثائق كثيرة تدل على تمسك حكام الاسلام وقواده بهذا المبدأ الانساني العظيم ، وبلغ من ذلك ان جحافل التتار حين غزت البلاد الاسلامية واسرت كثيرا من المسلمين والنصارى ثم هزمها المسلمون في الشام . واسلم ملوكها ، طالب شيخ الاسلام ابن تيمية امام العلماء في عصره امير التتار (ملطوشاه) باطلاق سراح الأسرى فسمح له بالمسلمين وابى عليه أهل الذمة ، فقال له ابن تيمية : لا بد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ولا ندع اسيرا من اهل الملة ولا من اهل الذمة ، فأطلقهم .

وبفضل حرية العقيدة التي كفلها الاسلام كسب انصارا له في كل مكان ، وكانت هذه الحرية من أهم العوامل التي اسهمت في انتصاره في جميع المعارك التي خاضها .

فقد كانت فتوح الاسلام في اقرار الحق والحرية والعدالة تسبق انباء معاركه ، ومن ثم لم يجد أعداؤه استجابة وغيرة من شعوبهم ، بل لقد مهد بعض هذه الشعوب لدخول المسلمين ديارهم لتخليصهم من طغيان حكامهم ورجال دينهم ، واستطاعت الدولة الاسلامية الناشئة في خلال فترة وجيزة من الزمن أن تقهر اقوى سلطتين سياسيتين معاصرتين لها وهما دولتا الفرس والروم ، وان تبسط سلطانها فيما بعد على معظم ارجاء العالم الذي كان قائما في ذلك الحين .

وبفضل هذه الحرية الدينية لم يعرف الاسلام ، عبر تاريخه الطويل ، الحروب الدينية التي وصمت جبين العالم وعوقته عن تطوره حينا من الزمن .

وقد عصم الاسلام من هذه البربرية عقيدته السمحة التي تجعل الدين لله وتحرم الوساطة بينه وبين الفرد ، فلا سلطان لرجال الدين على سائر الرعية ولا وصاية لهم عليهم : **«ان عبادي ليس لك عليهم سلطان»** الحجر/٤٢ .. فلا امام سوى العقل المتحرر بنور من الحق الذي بعث الله به انبياءه هداة ومرشدين ، ولا رهبانية ولا كهانة في الاسلام ، ولا صكوك غفران ، وانما صلة المرء بربه صلة خالصة تنبع من أعماق روحه بلا شريك ولا وسيط ، ومرد الامر كله الى الله :

« بل لله الأمر جميعا » (الرعد /٣١) .

هو الذي يجزى المرء بما كسبت يداه ، والطاعة له سبحانه ولرسوله ولأولي الامر ما عملوا بأحكام الشريعة التي نزلت لصالح البشرية ، والدين عبادة لا وظيفة فلا عروش فيه ولا تيجان وانما نظام يقوم على العدل والمساواة ..

والمشتغلون بشئون الدين في الاسلام لهم ما لغيرهم من حقوق وعليهم مثل ما عليهم من التزامات ، ولا فضل لمخلوق على آخر الا بالتقوى ، بل أن الاسلام لن يفرق بين أهله فئة باسم رجال الدين ، وانما عرف العلماء ،

والمفكرين والمصلحين والقادة ، لأنه لا طبقية فيه ولا امتيازات ، فالكل فى ظله سواسية وميزان التفضيل هو العمل الصالح .

على أن الاسلام يحبذ الاشتغال بأمور الدين علما وتفقها لا صناعة وارتزاقات فالتفقه فى الدين ليس حكرا على احد ولا وقفا على جماعة بعينها . فالاسلام عقيدة وتفكير ، والعقيدة مناطها القلب ، والتفكير مناطه العقل ، ولا قوامة لبشر على قلوب الآخرين وعقولهم .

وقد كان علماء الدين فى الاسلام من أهل الصنائع والحرف ، فلم يتخذوا علمهم مصدرا للتكسب والاحتراف أو ينصبوا من انفسهم ولاة على الشعب . فاذا أسندت الدولة اليهم مناصب معينة تتفق ومؤهلاتهم الخلقية العلمية ، فان ما يتقاضوه من أجور عن هذه الوظائف العامة هو نظير لما يؤدونه للدولة من اعمال مثل الفتوى والقضاء والحسبة ، شأنهم فى ذلك كسائر المسلمين العاملين .

وكان المسجد فى الاسلام غير المعبد فى الاديان أو المعتقدات الاخرى اذ ارتبطت به العبادة وتفانى فى العابدون ، فلا قيام للدين والتدين فى غير هيكله ولا غنى لهما عنه . وجاء الاسلام ليحرر الناس من هذا الجمود ، فالانسان ــ لا المكان ــ هو وحدة الدين ، والله يعبد فى المسجد ويعبد فى كل مكان ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، والناس فى حق العبادة متساوون ولا يتوقف قبول شعائرهم على كهنة او كهانة ، بل ان المسجد هو منارة اشعاع للفكر والثقافة فى شئون الدين والدنيا جميعا ..

ومن خلال هذه الفطرة المتكاملة فى شريعة الحرية والاحرار نجت الامة الاسلامية مما ابتلت به الامم القديمة من تحكم الكهان واحتكارهم أرزاق العامة باسم الدين ، فقد استغلوا تهاويلهم ومسوحهم وطقوسهم للتضليل وخلعوا على انفسهم صبغة القادة المتحدثين باسم الله والذين رفعت عنهم التكاليف ، واتبعتهم الرعية فى ضلالهم .

الاضطهاد الدينى فى اوروبا خلال العصر الوسيط :

وعلى النقيض من هذه الحرية الدينية التى كفلها الاسلام ، كانت أوروبا فى العصور الوسطى ، فقد شن حكامها وكهانها حروبا دموية ضارية انغمست فيها شعوبهم طوال عدة قرون ، واستبيحت فيها باسم الدين ، والدين منها براء ، جميع المقدسات الانسانية من حياة وحرية وكرامة وعدل . وعلى حين سجل المسلمون فى الحروب الصليبية من صفحات التسامح والمروءة والتمسك بآداب الفروسية الاسلامية النبيلة فى معاملة الخصوم ما شهد به حتى غلاة أعدائهم ، ارتكب الصليبيون من المذابح ما سود صحائف التاريخ . وكانت تلك الحملات الوحشية التى شنتها أوروبا على الديار الاسلامية حروبا عدوانية استعمارية شعارها الجور والاكراه فى الدين ، فلم يكن للمسلمين مناص من التصدى لها بالقوة دفاعا عن النفس وذودا عن حرية العقيدة .

ومن الامثلة الصارخة على انكار حرية الانسان فى عقيدته ما فعلته اوروبا المسيحية بالاندلس بعد اندحار الحكم الاسلامى فيها ، فقد بلغ بها التعصب ضد الاسلام واهله ما لم تشهد له الانسانية مثيلا فى أشد العصور ظلاما وهمجية ، فلم يقف فى سبيلها وازع من ضمير أو رادع مما اصطلح عليه البشر حتى فى جاهليتهم من معانى الوفاء بالعهود والمواثيق ، ولا يكاد المرء يصدق ما اثبته التاريخ من أعمال الكاثوليك السيف فى رقاب قرابة ثلاثة ملايين من المسلمين تنكيلا وانتقاما ، ولم يبق من المسلمين على قيد الحياة الا من قدرت له النجاة بالعودة الى افريقية ، ومن أذهله الهول والفزع فارتد عن دينه الى دين المعذبين .

على أن أمر التعصب الدينى ومصادرة حرية العقيدة لم يكن وقفا على الحروب الصليبية والاسبانية ضد الاسلام ، بل شمل أوروبا المسيحية نفسها فى العصر الوسيط ، فلم تفرق محاكم التفتيش فى عقوباتها الوحشية بين المسلمين فى الاندلس العربية وبين المسيحيين الذين يدينون بالمذهب الكاثوليكى فى أسبانيا وسائر الممالك البروستنتية فى أوروبا ، وكم طارد الاباطرة من اختلف معهم فى المذهب وساقوهم الى المجازر بلا شفقة ، مما يذكر بمطاردة الوثنية للمسيحية فى عهدها الاول فى الدولة الرومانية ، ثم انتشار المسيحية فى انحاء تلك الامبراطورية ومطاردة الامبراطور الذى اعتنقها للوثنية فى المملكة وخارجها ، ولقد استمرت الاضطهادات الدينية فى أوروبا منذ القرن الرابع عشر حتى القرن السادس عشر ، ومذبحة (سانت بارتلمى) هى أبلغ دليل على ذلك .

ولم تكد أوروبا تتنفس الصعداء من هذه الفوضى التى خاضتها فى لجج من دماء ، وما أهل القرن السابع عشر ، حتى عادت المنازعات المذهبية من جديد ، فقام صراع دموى رهيب بين الملوك والبروتستنت والملوك الكاثوليك بالمانيا استمر ثلاثين عاما فجلب الوبال على الشعوب وانهك مواردها وأصابها بالانحلال والفاقة .

ولا شك أن مصدر تلك الصراعات الدينية التى عمت أوروبا فى عهود الاقطاع هو طبيعة النظام الدينى فى تلك العهود ، فقد كانت الكنيسة هى القوامة على شئون الدين وجعل رجالها من انفسهم أوصياء على الناس يرسمون لهم أقدارهم ومصائرهم على هواهم . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل جاوزت الكنيسة سلطتها الدينية الى السلطة الزمنية فنازعتها أصحابها ، وقامت زعامة دينية مقدسة فى روما تحل محل سلطة القيصر الزمنية ، وتركزت السلطة الروحية فى شخص البابا الذى لا يخطىء ، وسرعان ما دانت لسلطانه الدينى الشعوب المجاورة وامتد نفوذه الى بيزنطة بعد ضعفها ثم زوالها ، وكان رجاله ينتهزون خوف الناس من العقاب ورغبتهم فى ثواب الآخرة ليؤكدوا سلطان الكنيسة الزمنى ، فكانوا يفرضون ضريبة

العشور لصالحها ويقررون العقوبة على المخالف لتعاليمها لا فارق فى ذلك بين الامير ورعيته ، ويحرمون من عطف الكنيسة من لا يرون فى تصرفاته ما يتفق مع سياستهم ، كما يمنحون البركة ورسائل الصفح والغفران التى يتوجه بها صاحبها دون مناقشة أو حساب الى جنات الخلد الفناء الفيحاء .. !!

وهكذا تأصل سلطان البابا وخضع له الامراء ومن خلفهم من الملوك والمواهل بلا قيد ولا شرط ، وسار العالم المسيحى فى طريق ممهد هو ارضاء الرب من طريق طاعة البابا روحيا وحكم الامبراطور زمنيا ودنيويا ، هذا الامبراطور الذى يستمد شرعية سلطته من الكنيسة يحكم باسمها نيابة عنها ، وما لبث هذا التعاون أن انهار تحت معاول الانقسام والشحناء بين البابا والامبراطور أو بين القوتين الروحيــــة والزمنية وظل الصراع على السلطة بينهما طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، فضاعفت سلطة الامبراطور وفقد رجال الدين قوتهم المعنوية ودب بينهم الفساد وســــادت الاطماع الدنيوية ثم عمت المجازر الدينية ، فولى الاسلام شطر المسيحية .

التسامح الدينى فى العالم الاسلامى :

وغنى عن الذكر أن نبين ملامح الصورة المقابلة للدولة الاسلامية فى تلك العصور ، وابرز تلك الملامح والســمات المشرقة روح الاخاء والمودة والتكافل بين المسلمين بعضهم وبعض ، على اختلاف أصولهم والوانهـــم وأوطانهم ، وروح التسامح والالفة بينهم وبين أبناء العقائد والديانات الاخرى، فلا تعصب ولا عنصرية ، ولا تمايز ولا أحقاد بل الكل فى حق الحياة والحرية سواء تحت ظلال الشريعة السمحاء .

ويرجع الفضل فيما ساد العالم الاسلامى من وفاق استمر أحقــابا طوالا الى حرية العقيدة التى دعا اليها الاسلام ، وجعلها احدى القيم الكبرى التى أرساها احتراما لانسانية البشر ، ورفعا من أقدارهم وحماية لهم من الهوان ، ودفعا لهم الى المضى فى سبيل التقدم وعمران الكون .

ولم تكن هذه الحرية مبدأ نظريا فحسب بل كانت تطبيقا عمليا فى عهد رسول الحرية وخلفائه من بعده اهتدى به المسلمون عبر العصور المختلفة وسلمت أجيالهم المتتابعة بعضها لبعض هذا المبدأ العظيم أمانة مقدســـة لا سبيل الى انتهاكها لأنها من وحى الله ، ورثيقة حاسمة لا سبيل الى نقضها لانها من صميم الرسالة الخالدة .

وكانت آيات الكتاب الكريم وتعاليم الرسول ووصايا الخلفاء الى ولاتهم فى خطبهم ورسائلهم هى الضـــمانات الكفيلة لتحقيق مبدأ حرية العقيدة لمـــا لأحكامها من قدسية فى قلوب المسلمين وقوة اقناع فى عقولهم .

على أن هذه الحرية شأنها شأن سائر الحريات الاسلامية مشروطة بقيد لا مفر من الالتزام به ، وحد لا ينبغى تخطيه ، ذلك لانه لا يوجد حق مطلق

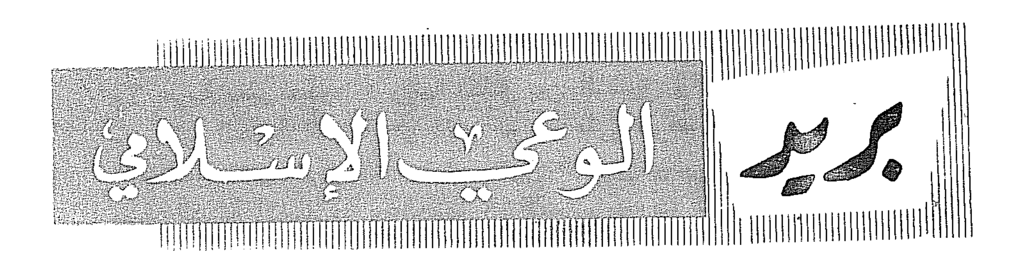
ولا حرية بغير حدود ، وانما تكافؤ بين الحقوق والواجبات ، والقيد الذى يرد على الحرية الدينية هو ذاته الوارد على غيرها بموجب أحكام الشريعة الاسلامية ، ونعنى به ، احترام حقوق الآخرين وحرياتهم وعدم الخروج على نظام الدولة الاسلامية وعقيدتها ، فالاسلام يضرب على يد العابثين بكيانه ، والمستغلين ما خلع عليهم من حريات لتحقيق أطماع ذاتية وانتهاج سلوك يمس سلامة المجتمع وآدابه العامة .

الحضارة الانسانية ثمرة التسامح الاسلامى :

وقد تمخضت الحرية الدينية التى آمن بها العرب وطبقوها عن حركة تفتح وتحرر كبرى ، اذا كانت حرية الفكر ديدنهم فى معاملاتهم مع غيرهم ، فلا يتميز بين البشر بسبب العنصر أو الملة أو اللون ، وانما عدالة ومساواة تظل الجميع فى اطار الشرعية الاسلامية ، ولا مراء فى أن علماء أوروبا فى العصر الوسيط قد تعلموا حرية الفكر عن المسلمين . فكانت التربة الصالحة لنماء بذور الحضارة الغربية ، ولولاها لما استطاعوا أن ينتزعوا راية العلم من رجال الكنيسة المتعصبين المستبدين ويطهروا عقولهم من رواسب المعتقدات الخرافية القديمة ، ويؤمنوا بالعلم وقدرتهم على التحكم فى مصائرهم . كما تعلموا دقة البحث العلمى فتمكنوا من تحقيق كشوفهم العلمية . وقد اعترف المنصفون من المؤرخين الاوروبيين الذين يتحرون الموضوعية فى كتاباتهم وينأون عن التعصب بما كان عليه المسلمون من تسامح دينى وما اعتنقوه من تحرر فكرى وما نعم به المسيحيون فى أسبانيا من حرية . وفى ذلك يقول العلامة الاجتماعى جوستاف لوبون : « ان العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » .

وقد كان من أثر التسامح الدينى والتحرر الفكرى فى ظل الدولة الاسلامية فى شبه جزيرة ايبريا (أسبانيا والبرتغال) أن ذابت الفوارق بين العرب والاوروبيين ، وامتزج القيصران واندمجا بالتزاوج أو علاقات الجوار ، مما أحدث أثره فى طبيعة الحضارة الاندلسية بحيث كانت أشبه ببوتقة انصهرت فيها عقليات شتى وثمرات ثقافات متباينة . وكان أهم مظاهر هذا الامتزاج والتزاوج اصطباغ اسبانيا بالصبغة العربية وهو ما يطلق بتعريب اسبانيا ، اذ اقبل العرب الفاتحون — أمراء وجنودا — على الزواج من الاسبانيات وأسلم كثير من الأسبانيين بعد أن لمسوا جو العقيدة الاسلامية ، وأصبح المستعربون شغوفين بالتراث العربى من شعر ونثر مما ظهر أثره فيما بعد فى الشعراء الدوبار . وقام هؤلاء المستعربون بنقل الحضارة العربية الى اسبانيا المسيحية .

وهكذا انقلب العرب الفاتحون على الاسبانيين ، لا بحد السيف وحده ، بل بروحهم ودينهم ولغتهم ، وكانت تزخر بالعلوم والمعارف التي افتقرت اليها اللغة اللاتينية .



اعداد : عبد الحميد رياض

ام المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها

وردنا من الأخ نجيب صديق عمر رسالة حول ما جاء فى مقال (النبي فى حياته الزوجيـــة) فقد ذكر اسم السيدة ام سلمة بنت أبى أمية المخزومى على أنها السيدة ام سلمة بنت عبد الأسد ، وليس صحيحا هذا ، ولعل الكاتب قد خلط بين اسم أبى زوجها السابق واسم أبيها .

وقد نشرت المجلة فى العدد ١١٣ ص ١١٤ عن السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها نبذة وافية عن حياتها وهجرتها واستشهاد زوجها وخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لها ، يمكن الرجوع اليها .

••• ••• •••

النهى عن المنكـــر

كثر فى هذه الأيام ظهور المنكرات علنا فى الطرقات فهل يستطيع الانسان أن يكون له دور فى القضـــاء عليها أو محاولة شرح مضارها مستمدا ذلك من تعاليم الاسلام ، وهل الأمة تتحمل شيئا فى هذا المجال .

محمد السعيد محمد على ــ دمشق

اولا ــ واجب الأمة كلها أن تنهى عن المنكر ، وتأمر بالمعروف ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، يقول الله تعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** . (١٠٤ آل عمـــران) . ويقـــول سبحانه : **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** . (٧١ : التوبة) .

وقد بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه كيف يكون النهى عن المنكر وما هى وسائله التى تتناسب مع حجمه ، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبـــه وذلك هو أضعف الايمـــان) (رواه مسلم والترمذى) .

توجيه نبوى كريم الى ما هو أحق أن يتبع وما هو أحق أن يكون عليه الناس من الشجاعة فى مواجهة الحق .

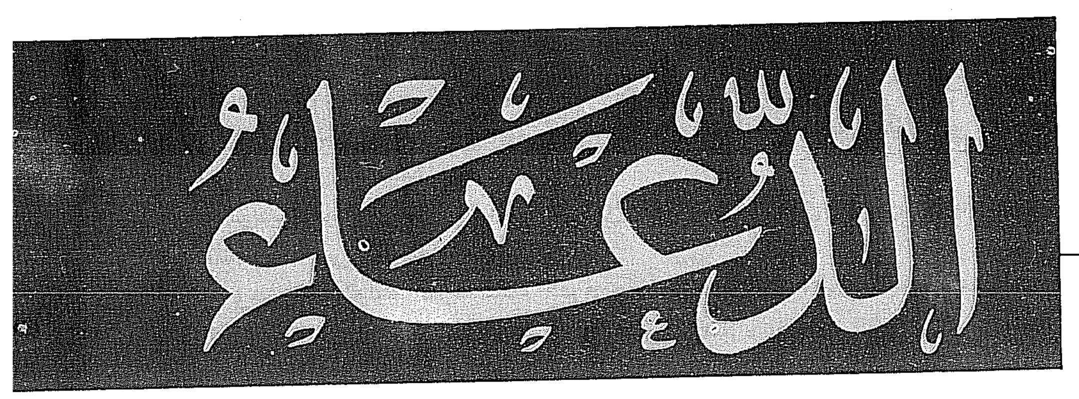
وهذه مسئولية الفرد تجاه الفرد وكذلك مسئولية الأمة كلها وواجبها فى اخراج جيل بعيد عن المنكر يترفع عن الدنايا ، ملتزم بتعاليم دينه متمسك بنهج نبيه ، سائر على هدى قرآنه ، وسنة الرسول الكريم ، فذلك من الزم الأمور التى يجب أن تعمل لها الأمة جاهدة فتهيىء جوا اسلاميا يعيش فيه الجيـــل الصاعد ولا تعوقه الخطايا .

ومن الأشياء الهامة فى تنشئة جيل مسلم ان تعمل الأمـــة على إظهار بشاعة الإثم والمعصية ، وتبين موقف الاسلام من الخلاعة والمجون والاستهتار بالقيم والمبادىء ، وتنكب الطريق السوى ، وأن تظهر الصـــورة البغيضـــة للمدنيـــة الفاجرة التى تتمثل فى الرقص المختلط وغير المختلط وإدمان الخمور وأن تضرب على أيدى العابثين بقيم الدين الحنيف الذين يأتون ذلك على مرأى ومسمع ، وفى كل مكان لا يردعهم قانون ولا تردهم أخلاق .

كما انه من الواجب أن يأخذ المرء نفسه بالأخلاق الفاضلة ، فلا يكون ناهيا عن المنكر مرتكبا له ، لأن ذلك ادعى الى طاعته والاستفادة من نصيحته .

وانه لمن الخطأ أن يفهم الانسان من قول الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)** انه ما دام قد انتهى عن فعل المنكر فلن يضره ضلال غيره ، والواقع أن هذا الفهم خاطىء يقول أبو بكر الصـــديق رضى الله عنه : يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)** وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول : (ان الناس اذا رأوا الظـــالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقـــاب من عنده) (رواه أبو داود والترمذى) لأنه اذا ترك العنان لمرتكبى المنكر دون رادع ، تلوث المجتمع كله ، وسرت فيه عدوى الفاحشـــــة ، وعمه أذاهـــا ، وتطـــاول أهل البـــاطل على أهل الحـــق ، وعبثوا بالحيـــاة وكسوها بظلام فسقهم .

ولا بد لأهل الحق من وقفة فى وجه هذا التيار الماجن حتى يردوه ويوقفوا زحفه المدمر فى مجتمع الاسلام . عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ومن جاهدهم بلســـانه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبـــة خـــردل) رواه مسلم .



الأستاذ : صالح أحمد الراشد

ضراعة المؤمن لربه أمر من أوجب أمور الإيمـــان لما فيــه من ادامة الصلة به سبحانه وتعالى ولما يحمل من معانى الانابة والاخبات لجــلال وجهه الكريم ، ولئن اعتبر الفقهاء أن الوضوء سلاح المؤمن لانه طهارة من الاحــداث وتزكية القلب ونظافة البدن ولئن ذهب المحدثون الى أن الاسناد سلاح المــؤمن عصمة من الوقوع فيما لا يحمد وخشية مخالفة أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم لئن كان ذلك عند أهل الفقه والحديث فان داعية القول فى مجال الصلــة بالله تبارك وتعالى يمكن أن تفصح عن أن الدعاء سلاح المؤمن . والحق ان كانت الشجرة لا تنمو الا فى تربة طيبة وأن تسقى بالماء فان الايمان شجرة يعد الدعاء من اساسيات غراسها ونمائها لانه (هو العبادة) كما قال رسولنا الـــكريم صلى الله عليه وسلم ولما يحتله من مكانة فى رسوخ الايمان وبين مباحث الاســـلام فان طرق كل ناحية من نواحيه تتطلب تفصيلا وبيانا يجعلنا فى مجال بحث له لا صياغة موضوع ، لذلك حفاظا على الافادة من تكامل جوانبه والالمام به بصورة شاملة فاننا نطرحه فى بينات من القول تكشف عما يزخر به من معان عظيمــة غارسة ــ باذن الله ــ لجانب الصلة برب العباد [illegible] علا فذلك الغاية والمبتغى .

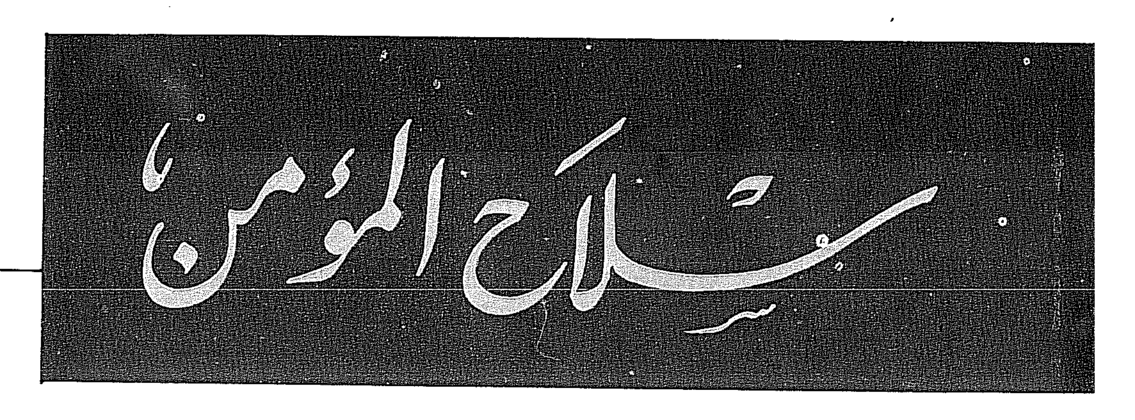
فضل الدعاء : للدعاء فضل كبير فى استقـ[illegible] المسلم على منهج ربه بحيث يكون دائم الصلة بالخالق العظيم وبفاطر السموات والارض وقد جاءت الآيات أما بصراحة بما فيه من فضل أو ما يستنتج منها ، كذلك كثرت الأحاديث الدالة على كبير الأجر والثواب ، أما الآيات فهاك بعضا منها :

قال الله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » البقرة آية ١٨٦ .

وقال « وقال ربكم ادعونى استجب لكم » سورة غافر آية ٦٠ .

وقال « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » سورة النمل آية ٦٢ .

وهذه أمثلة من آيات فضل الدعاء فيها استجابته سبحانه لعباده المؤمنين وأن الدعاء سبيل الهداية والرشاد وأن الدعاء طمأنينة وأمن للخائف والمضطر ، وهناك آيات أخرى كثيرة تبشر الداعين والمستغفرين ربهم بجنات النعيم ورضوانه



ومغفرته الواسعة ورحمته الشاملة لانهم علموا بأن لهم ربا يغفر الذنب فأنابوا اليه مخلصين . أما الأحاديث ففيها أدعية من جوامع الكلم مبينة لواسع فضل الله العظيم وثواب المنعم الجليل الذى لا ينفد له عطاء فمن ذلك الحديث عن طارق بن أشيم رضى الله عنه قال كان الرجل اذا أسلم علمه النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات : اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى » رواه مسلم وفى رواية طارق الأخرى « فان هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك » .

ونلحظ رضوان الله سبحانه فى أدعية كثيرة للمصطفى صلى الله عليه وسلم كان يقولها أثناء الليل والنهار منها عن عبد الله بن غنام البياضى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر : فقد أدى شكر يومه ، ومن قال ذلك حين يمسى : فقد ادى شكر ليلته » رواه أبو داود ، وعن ابن عباس : « من قال اللهم انى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر فأتم علىّ نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة ، ثلاث مرات إذا أصبح واذا أمسى : كان حقا على الله عز وجل أن يتم عليه نعمته » رواه ابن السنى . وعن أبى سلام خادم النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا أن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال إذا أصبح وا أمسى : رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه » رواه داود ، وهكذا نجد أن هناك أدعية فى الاستعاذة بالله سبحانه من كل ضار ومؤذ حشرة أو حيوان أو انسان أو غير ذلك تقال صباحا ومساء منها : « بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » إذ ما قالها لم يضره شىء ، ومنها : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » ومن عظيم الدعاء ما رواه البخارى بعنوان سيد الاستغفار وهو عن شداد بن أوس رضى الله عليه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار : اللهم انت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك

من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ وابوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا انت ، من قالها موقنا بها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها موقنا بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » ولا تقف فضائل الدعاء عند حد ففى كل شأن من شؤون المسلم ذكر ودعاء واستعانة برب العباد لانه سبحانه القادر على كل شىء ولانه تصير اليه الامور .

كيفية الدعاء واوقاته : ان صلة الرسول صلى الله عليه وسلم بربه سبحانه تبين لنا أوضاعه عليه الصلاة والسلام حال الضراعة والانابة وقد جاء عن الصحابة رضى الله عنهم حقيقة الكيفية فى الدعاء لما راوا عليه المصطفىّ صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نظر كتاب أخيه بغير أذنه فانما ينظر فى النار ، سلوا الله ببطن أكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم » أخرجه أبو داود ونرى أن هذا الحال العام فى الدعاء فقوله صلى الله عليه وسلم (سلوا الله ببطن أكفكم » ليس فيه تحديد وقت معين أو حالة معينة وإنما تلك الطريقة فى كل وضع وصورة . الا انه قد جاءت كيفيات اخرى فيها رفع اليدين أضافة الى مسح الجسد فعن عائشة رضى الله عنها قالت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ونفخ فيهما فقرأ فيهما : « قل هو الله أحد » و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على راسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات رواه البخارى . كذلك من كيفية القيام بالدعاء ما جاء من دعائه عليه الصلاة والسلام حال معركة بدر الكبرى رافعا يديه ملحا بالدعاء حتى ان بردته تكاد تسقط وتأخذ أبو بكر رضى الله عنه الخشية عليه من أن يصاب بشىء من الجهد والتعب . الا أن هذه الكيفيات فى عمومها مجمعة على رفع اليدين كبيان لحال التأدب والخشوع والانابة لله رب العالمين ولاظهار حقيقة التوسل الصادق فالطلب يكون بمد اليد وغاية الطلب يكون بهذه الصورة التى نزداد بها اطمئنانا ما دامت قد جاءت عن معلمنا وسيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام أما ما زاد على رفع اليدين أو المبالغة فى رفعهما أو مسح الوجه وغيرها من تفصيلات فلعلها تدل فى مباحث الفقه من حيث الاحكام فى الاستحباب وتدخل فى مباحث الحديث من حيث صحة الاحاديث التى حملت زيادة تلك المعانى وأيا ما كان علينا أن نقف وندرك حقيقة التوسل المجمع عليه شرعا من كمال التضرع برفع اليدين وتطبيق الآداب المشروعة فى صلة مع العلى الكبير .

ومن حيث أوقات الدعاء فانه صلة دائمة بالرب جل وعلا الا ان هناك أوقاتا تكون أدعى للاجابة حيث يظهر فيها قرب رحمة الله وجلاله أو لما لهذه الاوقات من أهمية يجب أن يحرص عليها المسلم ومن الاوقات التى ترجى فيها الاجابة :

١ — الدعاء عند النداء — عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء (أى الاذان) اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة رواه البخارى فى صحيحه .

٢ ــ بين الآذان والاقامة ــ عن انس (رضى الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة . قيل ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال سلوا الله العافية . فى الدنيا والآخرة » أبو داود .

٣ ــ فى السجود ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم .

٤ ــ جوف الليل وبعد الصلوات ــ عن أبى امامة رضى الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى الدعاء أسمع ؟ قال « جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات » رواه الترمذى وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له ومن يسألنى فأعطيه ومن يستغفرنى فأغفر له » رواه البخارى وغيره .

٥ ــ وقد جاءت احاديث صحاح فى الدعوة عند المرض والكرب والحرب ونزول المطر واستجابة دعوة المظلوم والساعة التى فى يوم الجمعة حيث لا يوافقها عبد مسلم ويدعو فيها الا غفر له واستجيب دعاؤه .

ونلحظ فى هذه الاوقات تنوعها واختلاف ظروفها مما يدل أن المسلم عليه أن يكون حريصا فى صلته بربه دوما صباحا ومساء وما بينهما من أوقات .

آداب ومقتضيات الدعاء : ان التأدب فى أخذ الامور والتعامل معهما شأن اهل الاستقامة والسلوك الصحيح ، والمسلم الحق مطبوع بطابع الرزانة والوقار فى اعماله وهو هنا ــ لا شك ــ اكثر وعيا والتزاما بأداب سؤال ربه والتوسل اليه جل وعلا ، ومن الاداب التى جاءت فى السنة المطهرة ما نذكر من احاديث :

١ ــ رفع اليدين حال الدعاء وهذا قد مر فى السطور السابقة فيما ذكرناه عن ابن عباس وهو كثير فى كتب السنن والصحاح انظر مثلا فى الجامع الصحيح للبخارى باب رفع اليدين فى الخطبة وباب الاستسقاء فى الخطبة يوم الجمعة .

٢ ــ حضور القلب وتيقن الاجابة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » الترمذى .

٣ ــ استفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله وأن تتخلله الصلاة والسلام على رسول الله ويختم بها كذلك فعن فضالة بن أبى عبيد (رضى الله عنه) قال سمع رسول الله رجلا يدعو فى صلاته ولم يصل على النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال : عجل هذا ثم دعاه فقال : « اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء) أخرجه أصحاب السنن .

٤ ــ ان يختم الدعاء بآمين فعن أبى زهير النميرى رضى الله عنه قال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأتينا على رجل قد الح فى المسألة فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه فقال : « أوجب إن

ختم » . فقيل بأى شىء يختم يا رسول الله ؟. قال « بآمين » . وانصرف فقيل للرجل يا فلان . قل آمين ، وابشر » أبو داود .

٥ ــ الهدوء وعدم رفع الصوت بالدعاء فعن أبى موسى رضى الله عنه قال كنا فى سفر فجعل الناس يجأرون بالتكبير . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أيها الناس أرفقوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم ، والذى تدعونه اقرب الى أحدكم من عنق راحلته » الخمسة الا النسائى .

٦ ــ أن يختار جوامع الكلم اى الدعوات الجامعات للخير فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك » رواه ابو داود .

٧ ــ التكرير ثلاثا فى الدعاء والاستغفار فعن أبى مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا .

تلك بعض الآداب التى يجدر بالمسلم أن يلتزمها فيحقق المعنى الوافى للدعاء ويطمئن الى الاثار التى تجلب نتيجة الخشوع والانابة لربه سبحانه ، الا أنه أضافة الى ما يتأدب به المسلم فى صلته الكبيرة برب العباد هناك مقتضيات تزيد فى معنى الأوبة والتوسل وسؤال الرب المنعم تبارك وتعالى وتشمل صفاء الاسلام ونوره الوضاء بين المسلمين بالذات المتحابين منهم فى طاعته جل وعلا ومن هذه المقتضيات : دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب فعن أبى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند راسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل » رواه مسلم .

ومنها أن يدعو لمن صنع اليه معروفا فعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صنع اليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء » الترمذى . وفيها ــ وهو أمر مهم جدا ــ أن لا يتعجل الاجابة فهو قد أوكل أمره الى الله سبحانه ونفذ ما أمر به البارىء جل وعلا فى قوله : « ادعونى أستجب لكم » فان لم تكن الاجابة عاجلا أو آجلا فقد ذخر أجره عند ربه الذى لا تضيع عنده سبحانه الودائع لأنه رحيم سميع مجيب الدعاء ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل : يقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى » متفق عليه وسلم الاستعجال « قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت فم أر يستجيب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » . اللهم انا نعوذ بك من ترك الدعاء . ومنها أن لا يدعو باثم أو قطيعة رحم لأن الدعاء لا يكون الا فى الخير ولأن قطع الارحام مما يخالف تعاليم الاسلام وفى ذلك عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما على الارض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة

الا أتاه الله اياها أو صرف من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحـــم » الترمـــذى .

ونجد فى كتب الفقه كثيرا من المسائل المتعلقة بالدعاء وقد جمع ابن تيمية رحمه الله فى مجموع فتاويه حديثا متناثرا يمكن أن يجمع بعضه بعضا فيكـــون وافى الصورة عن الدعاء وكل ما يحتويه من معنى وآداب وتحديد أوقات وما ينجم عنه من آثار يكون فيها صفاء النفس وتزكية القلب وأخلاص العمل للحق تبارك وتعالى . وأكثر ما جاء الدعاء فى فتاويه ما نجده فى الجزء الاول حيث أعتبره ركنا من أركان العبادة التامة وعلق عليه بعدم الشرك وعدم جواز سؤال غير الله وفى الجزء الثانى والعشرين حيث الدعاء فى الصلاة وأهتم كثيرا بالدعاء باسماء الله الحسنى وصفاته سبحانه وتعالى .

نماذج الدعـــاء :

أ ـــ من القرآن الكريم : نجد فى كتاب الله العزيز كثيرا من دعوات الانبيـــاء والصالحين كنوح وابراهيم وزكريا وايوب وآسيا امراة فرعون وهناك آيات كثيرة تشير الى هذه الادعية أضافة الى توجيه الله الرحيم بعباده الى دعوات ينقطعون فيها اليه ومن هذه الآيات :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » البقرة/٢٠١

« ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » آل عمران « ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » الحشر/١٠ .

ب ـــ من الحديث الشريف : جاءت أحاديث كثيرة فى الدعاء نجد لها أبوابا خاصة فى كتب الحديث بل نجد كتبا قد افردت فى هذا الموضوع وكثير من دعـــاء الرسول صلى الله عليه وسلم بمثابة تعليم لنا لنتأسى به عليه الصلاة والســـلام ذلك لانه أوتى جوا مع الكلم ومن دعواته صلى الله عليه وسلم بعضا مما نذكره :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقـــول « اللهم انى اسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » رواه مسلم .

وهكذا نجد ضرورة الدعاء لانه شعور العبد واقراره بكمـــال الله سبحانه فى صفاته فيدعوه العبد بطلب العفو والمغفرة والرحمة لانه الغفور الرحيم ويدعوه بطلب الرزق لانه الرزاق ويدعوه بالعافية وتيسير الاحوال والتوفيق لانه المنعم المتفضل الموفق والميسر الذى بيده كل شىء ومن هنا فالدعاء ســـلاح المؤمن وكيف لا يكون كذلك وهو مقياس للصلة برب العباد وهو سبيل الانقاذ من الموقف الرهيب العظيم يوم الحشر حيث أن المصطفى صلى الله عليه وسلم يسجد عند عرش ربه ويدعو بدعوات راجيا الرحمن الرحيم انهاء الموقف المزعج المريع وبذلك تتجلى للمؤمن حقيقة الدعاء وأثره فى حياته وسلوكه فاللهم أجعلنا من الداعين لك الراجين ثوابك وعفوك اللائذين بكنفك ففى دعائك الرحمة والعفو والمغفرة والسلامة فى الدنيا والفوز بالآخرة ، اللهم آمين .



تأليف الاستاذ البشرى الشوربجى

عرض ونقد : الاستاذ محمد الصفطاوى

ما كتبه المؤلفون وعلماء الاسلام حول ما هية الاقتصاد الاسلامى ومراحله وتطور نشأته لا يعدو أن يكون شذرات متفرقة ومقالات متناثرة رغم خصوبة الاسلام وسيولته فى هذا المجال . ومن هنا ستظل المكتبة الاسلامية فى فراغ حتى ينشط الباحثون من العلماء فى كشف النقاب عن خصوبة الاسلام فى هذا المجال .

وبين يدى الآن كتاب « التسعير فى الاسلام » دراسة وتأصيل لقضية التسعير الجبرى فى الفقه الاسلامى وهو وثيق الصلة بهذا الموضوع لمؤلفه الاستاذ البشرى الشوربجى وكيل النائب العام ورغم أختصار هذا الكتاب حيث يقع فى ١٥٥ صفحة من القطع الكبير الا أنه كما قال المؤلف نفسه صورة هدانى ربى الى التقاطها من خفايا الفقه الاسلامى وأعاننى على ذلك بحث متأمل دؤوب فى بطون كتب الثقات من أعلام هذا الفقه فى القديم والحديث .

عرض المؤلف للنصوص ثم استخلص منها الفكرة بقدر استطاعته ثم قسمه الى مقدمة وفصلين وخاتمة .

بين فى المقدمة أن التعامل بين الناس سيظل قائما استجابة لدواعى الحياة بالفطرة والضرورة ودون تقيد بوقت أو مكان وحيث أنه من مسلمات المنطق أنه لا يطيب للمرء أن يشترى شيئا بأكثر من قيمته أو يبيعه بأقل

من قيمته حيث أن القيمة نفسها شىء نسبى يتفاوت بتفاوت الزمان والمكان وقوة الحاجة الى الشىء المطلوب .

لذا كان خيرا للمجتمع أن تكون قيم الاشياء محددة معينة واقرب الى الثبات والاستقرار . ثم بين أهمية التسعير الجبرى (رغم كونه قيدا تفرضه الدولة على حرية التعامل بين الافراد) لكنه من قبيل الضرورات اللازمة لعدالة المعاملات ولسلامة الحركة التجارية فى المجتمع بل هو من قبيل الواجبات الاولية التى يتعين على الدولة الوفاء بها منعا للاستغلال والجشع والاحتكار .

ثم عاد فبين أهمية البحث نفسه لانه تناوله من الناحية الفقهية فى الوقت الذى صارت فيه مبادىء الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع فى مصر والكويت وبعض البلاد الاسلامية .

وفى الفصل الاول ذكر المؤلف أن قضية التسعير فى الفقه الاسلامى يتجاذبها مذهبان :

مذهب يقول بمنع التسعير اطلاقا لفكرة الحرية والتراضى فى المعاملات واستنادا الى المفهوم المتبادر من بعض احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن ذكر الأدلة مستوفاة مستخلصا آراء الفقهاء عاد فذكر (المذهب الثانى) القائل بجواز التسعير ناقش فى هذا المذهب الأدلة التى استند اليها القائلون بالجواز ثم عقد مقارنة جوهرية بين المذهبين خلص منها الى ترجيح الرأى الثانى وذلك لان العمدة فى المذهب القائل بالمنع هو الاستناد الى رفض الرسول عليه الصلاة والسلام للتسعير .

فحينما غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اصحابه يا رسول الله لو سعرت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر وانى لارجو أن القى الله عز وجل ولا يطلبنى احد بمظلمة ظلمتها اياه فى دم ولا مال » . رواه أحمد وأبو داود وغيرها .

وحيث أن هذا الحديث ليس نصا فى المنع لان رسول الله لم يقل لا تسعروا بالنهى الصريح لذا كان الحديث محلا للاجتهاد فاذا اضفنا الى ذلك بساطة الحياة فى عهد الرسول وضعف النشاط الاقتصادى وقوة الوازع الدينى وتحقق التكافل الاقتصادى تلقائيا ثبت ترجيح المذهب القائل بالجواز .

ثم عاد المؤلف فبين فى المطلب الثانى من الفصل الأول أدلة تقوى هذا المذهب قال : ان الاحتكار محرم فى الاسلام بنصوص صريحة حاسمة يقول رسول الله فيما رواه عمر . « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » رواه أحمد وغيره .

والتسعير لازم لمقاومة الاحتكار وعلاجه فهو يرد على المحتكر قصده السىء فيقضى بنزع ما احتكره ومصادرته ويسمح بمعاقبته جزاء عدوانه على المصلحة واضراره بحقوق المجتمع (وهذا مذهب الجمهور) .

ثم يربط المؤلف بين الاحتكار والتسعير بقوله : فاذا جاز نزع ملكية المحتكر جبرا عليه ، ومصادرتها تيسيرا على الناس فى الحصول على ما يحتاجون . افلا يجوز من باب أولى فرض قيود على حريته فى تقدير أثمان ما يعرضه للبيع أو ما يمتلكه للتجارة (وهو معنى التسعير) .

بل إن التسعير ادنى درجة من مصادرة أصل الملكية لانه تحديد للسعر مع بقائه على ملك صاحبه .

وما زال المؤلف يتابع الحديث على وجوب التسعير مستدلا بأنه سد للذرائع ، فما يؤدى الى الحرام يكون بدوره حراما فيمنع ثم يسوق الحديث الذى روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم: « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد أستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » متفق عليه .

هذا وقد اجمع الفقهاء على أن كل ما فيه مصلحة للناس أو دفع مضرة عنهم يكون واجبا شرعا ، ولا شك أن التسعير قيد من قيود التجارة العادلة فهو سياسة لتحقيق المصلحة للجمهور ودفع ضرر الغلاء المثقل عنهم .

واذا لم يوجد نص صريح يقطع بتحريم التسعير أو النهى عنه فى القرآن أو فى السنة واذا لم توجد علة شرعية تدعو الى ذلك فالاجتهاد بالمصلحة مجمع عليه وهى تقضى بالتسعير ثم حاول المؤلف أن يدفع بعض شبهات قد يفهمها البعض فقال :

وأما لفظ بعضهم بأن التسعير حرام فهو إما راجع الى خطئه فى فهم المراد بالتسعير كسياسة شرعية واعتقاده بأن التسعير دائما مظلمة .

أو الى ظنه خطأ أن حماية الملكية فى الاسلام مطلقة من كل قيد وأن الناس دائما مسلطون على أموالهم فى حرية لا حدود لها مع أن التسلط على المال رهن بعدم الاضرار بالآخرين .

أو بما رآه البعض من ترك الأخذ بالاستحسان والمصلحة فى الفقه الاسلامى ولكن اذا ثبت أن هذا المنع انما كان لغاية سامية هى منع الافراط فى القول فى دين الله بغير علم فاذا انتفى هذا القيد ثبت قول الجمهور بالمصلحة المرسلة والاستحسان .

ثم بين المؤلف فى الفصل الثانى أنه وقد رجح فى الفقه الاسلامى

شرعية التسعير الا انه ليس واجبا فى كل الاحوال ذلك لانه ضرورة والضرورة تقدر بقدرها ثم عاد فبين الاحوال التى يجب فيها التسعير وذلك عندما يحتاج الى السلعة وعندما يتواطأ البائعون ضد المشترين أو العكس .

هذه الحالات ذكرها المؤلف على سبيل المثال لا الحصر لان القاعدة العامة انه كلما كان مصالح الناس ومنفعتهم العامة فى التسعير تعين اتخاذه .

وفى المطلب الثانى بين اختلاف الفقهاء فى تحديد موضوع التسعير . هل المطعومات هى التى تكون محلا للتسعير أو ينسحب ذلك على المكيل والموزون واللحوم والبقول والفواكه ؟

وبعد ان ذكر آراء الفقهاء فى هذا الموضوع قال : ومن العدل (وهو قوام المعاملات فى الاسلام) الا يمتنع التسعير عن سلعة ما طالما أن حاجة الناس اليها طعاما كانت هذه السلعة أو ثيابا أو غير ذلك لا تندفع (كما يقول ابن تيمية) الا بالتسعير .

ثم بين فى المطلب الثالث كيف رسم الفقه الاسلامى سياسة التسعير لان تقدير السلعة تقدر على العدل لاوكس ولا شطط على أن يستعان بأخذ رأى التجار . ثم قال : والتسعير يضعه ويراقبه فى المجتمع الاسلامى ولى الحسبة أو المحتسب ويقدر الجزاء على مخالفته فى صورة ما يراه من التعزير ملائما ومحققا لايلام المتهم وردعه .

ثم قال فى خاتمة الكتاب : إن التنظيم الاسلامى لمسائل الاقتصاد والتجارة والمعاملات بصفة عامة بلغ الغاية فى الدقة والحكمة والابداع . والاسلام فى تنظيمه لهذه الشئون انما يطبعها بطابعه الروحى النبيل ويمزجها بما يلائم الاهتمامات الفطرية للانسان السوى من ايمان وعقيدة وهذا ما يكفل نجاح التشريع الاسلامى .

وقد أجمع الباحثون المنصفون على ان ارقى المذاهب والفلسفات تنتهى فى تطورها الى ما قررته الشريعة الاسلامية من مبادىء العدل والانصاف منذ اربعة عشر قرنا وموقف الفقه الاسلامى من مسألة التسعير الجبرى برهان على ذلك .

وبعد :

فالكتاب رغم اختصاره عرض لقضية التسعير عرضا مدعما بالأدلة مقرونا بالواقع ، أحاديثه مخرجه ، ومراجعه اشار اليها وهذا جهد يشكر عليه المؤلف .

فهل لنا ان نقول : إنه اثرى المكتبة الاسلامية بهذا المؤلف . ؟

عموما شكر الله لهذه الأيدى التى امتدت الى تراثنا الاسلامى فأخرجت لنا هذه القطوف الدانية .

من القصص الإسلامي

الراعي الأسود

للأستاذ : حسين الطوخي

● انتهى التفكير بمحد صلوات الله وسلامه عليه بعد صلح الحديبية، الى ضرورة القضاء الأخير على شوكة اليهود فى شبه الجزيرة العربية .

صحيح أن صلح « الحديبية » أمنه من قريش ومن الجنوب كله ، لكنه عليه الصلاة والسلام لا يأمن من ناحية الشمال أن يستعين هرقل قيصر الروم ، ولا يأمن من ناحية الشرق أن يستعين كسرى ملك الفرس ، بيهود خيبر ، وأن يحرك أى منهما فى نفوسهم ثاراتهم القديمة ، فيذكروا اخوانهم فى دينهم من بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، وقد أجلاهم عن ديارهم بعد أن حصرهم بها ، وقاتلهم فيها ، وقتل منهم مئات وآلاف ، وسفك دماءهم جزاء لما اقترفوه من آثام فى حق المسلمين .

واليهود أشد من قريش عداوة للنبى محمد عليه الصلاة والسلام ومن معه من المسلمين ، لانهم أحرص منهم — من قريش — على دينهم ولأن فيهم ذكاء وعلما أكثر مما فى قريش . كذلك يملك اليهود فى شبه الجزيرة العربية وفى غيرها الكثير من المال والفضة والذهب ، ويتقنون

صناعة السلاح ، ويتاجرون فى كل شىء يملكونه او يقع تحت ايديهم ، حتى الأعراض والذمم والضمائر يدخلونها الى اسواق تجارتهم ويساومون عليها بما يحقق لهم اوفر المنافع وقضاء المصالح ..

لذلك اصبح من العسير على الرسول أن يوادعهم بصلح كصلح الحديبية ، وأن يطمئن لهم بعد أن سبقت بينه وبينهم خصومات ووقعات لم ينتصروا عليه فى واحدة منها ..

ما اجدر اليهود اذن ان يثأروا لأنفسهم اذا هم وجدوا من ناحية ((**كسرى**)) مددا او من ناحية ((**هرقل**)) مؤازرة وحفزا ..

كان عليه الصلاة والسلام على يقظة تامة ووعى كامل وهو يخطط للقضاء على اليهود وكسر شوكتهم ، فلم يكن يستهين بشىء مما يملكونه وما يقع تحت نفوذهم ..

لم يغب عن فطنة الرسول القائد ، ان اليهود حينما تجمعوا فى « خيبر » بعد اجلائهم وطردهم من المدينة ، غدوا من أقوى الطوائف الاسرائيلية بأسا ، وأوفرها مالا ، وأكثرها سلاحا ومنعة وحصونا ..

فى تلك الايام الباهرة ، بعد انقضاء قرابة ستة عشر عاما على نزول الاسلام ، أيقن المسلمون بأنه طالما بقيت لليهود شوكة فى شبه الجزيرة ، ستظل المنافسة بينهم وبين الدين الجديد حائلا دون تمام الغلبة للمسلمين .

وقر فى قلب الرسول وفى ذهنه ، انه لا بد من القضاء على شوكة هؤلاء اليهود قضاء أخيرا لا تقوم لهم من بعد ببلاد العرب قائمة ابدا ..

ولابد كذلك من المسارعة فى ملاقاتهم قبل أن يحكموا تدبيرهم ، ويجهزوا صفوفهم ، ويرتبوا أمورهم لوقعة أخرى قريبة يتوجسون فيها ويوقنون بأن « محمدا » عليه الصلاة والسلام لن يسكت عليهم ، ولن يكتفى بأن أخرجهم من المدينة ، وكأنهم يسمعون المسلمين والعرب وهم يرددون : ليس يكفى أن تقطع راس الافعى ، وانما ينبغى أن تتبع رأسها الذنب ..

فى تلك الأيام الباهرة والرسول القائد المحارب يخطط لغزو خيبر بمشاورة صحابته ، اخذ يتخير أفذاذ رجاله واعوانه لهذه الغزوة ويدقق فى اختياره ، مرتكزا على حذره ويقظته ، مستلهما بُعد نظره وحكمته..

حين أمر المسلمين بالتجهز لغزو « خيبر » طلب الا يغزو معه الا من

شهد الحديبية ، أو ان يخرج معه من يحب الخروج ، غازيا متطوعـــا لا يرجو من الغنيمة شيئا . .

الا ما اعظم الغاية وما اسمى الهدف ..

الا ما أعظمه واشرفه من قائد تجرد من سفاسف الدنيا ونعومة الحياة الرخية ليفارق المدينة بعد خمسة عشر يوما من عودته من « الحديبية » ولما تزل على وجهه ووجوه صحابته واعوانه وعثاء الصحراء ومشقة الطرق الجرداء . .

أيامئذ ، لم يخرج المسلمون مع قائدهم الحربى يبتغون حيـــازة ارض يغتصبونها بلا حق ، أو يستعمرون بلادا جورا وعسفا ، أو يطمعون فى وسام يلحقهم ، أو منصب ينتظرهم اذا عادوا ، انما كان خروجهم مـــع النبى القائد ـــ وقد وهبوا للموت انفسهم قبل الحياة ـــ من اجل نصرة دين حنيف قويم هو أرقـــى وأعظم دين يكرم به الانسان فى الدنيا وفـــى الآخرة .

وقفت قريش ، ووقفت شبه الجزيرة العربية كلها تتطلع الى هـــذه الغزوة الجبارة الجريئة المتحدية ، حتى لقد كان من قريش من تراهنوا على نتائجها ، واختلفوا فيمن تتم الغلبة لطرف من الطرفين .

كان الكثيرون من قريش ـــ وهم الحاقدون من أصحاب مراكز القوى التى أطاح بها النبى القائد ـــ يتوقعون أن تدور الدائرة علـــى المسلمين لما عرف من قوة حصون خيبر ومنعتها وقيامها فوق الصخور والجبال ، ولطول ممارسة أهلها للحرب والنزال .

انطلق المسلمون بقيادة الرسول القائد فى الف وستمائة محارب من الأشداء ومعهم مائة فارس ، وكلهم واثق بنصر الله ، وقطعوا مراحل الطريق ما بين المدينة وخيبر فى ثلاثة أيام لم تكن خيبر تحسهم اثناءها ، وان هو الا ان طلع فجر اليوم الرابع ، حتى كان جيش المسلمين قـــد وقف أمام حصونهم المنيعة .

وبينما عمال خيبر يخرجون الى مزارعهم يسحبون وراءهم ماشيتهم واغنامهم ، اذا بجيش المسلمين أمامهم يسد عليهم منافذ الطريق ، فمـــا لبثوا ان ولوا الأدبار يتصايحون : هذا محمد والجيش معه ! وقـــال الرسول حين سمع قولهم : الله اكبر خربت خيبر ! انا اذا نزلنا بساحة

قوم فساء صباح المنذرين .

وعلى الفور وزع الرسول القائد قواته من حول الحصون ، وحدد لكل قائد كتيبة واجبه وخطة عمله وأهدافه ..

تحدد لأبى بكر حصن ((**ناعم**)) ليفتحه فقاتل ورجـــع ولم يفتـــح الحصـــن .

وبعث الرسول عمر بن الخطاب فى اليوم التالى فكان حظه مثل حـــظ ابى بكر ..

فدعا الرسول اليه على بن ابى طالب ثم قال له : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك .

ومضى « على » بالراية ، فلما دنا من الحصن ، خرج اليه أهلــــه فقاتلهم ، وضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده ، فتناول « على » بابا كان عند الحصن فتترس به واتخذه درعا له ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الحصن ، ثم جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليهـــا الى داخل ابنية الحصن المنيع .

وتوالى بعد ذلك فتح حصونهم واحـــدا اثر آخر . ســـقط حصن ((**القموص**)) ثم حصن ((**الصعب بن معاذ**)) ثم حصن ((**الزبير**)) ثـــم حصن ((**الوطيح**)) ثم حصن ((**السلالم**)) وكان الحصنان الأخيران آخـــر حصونهم قوة ومنعة ، ووفرة مال ومئونة وسلاح .

وانهار سلطان اليهود السياسى بتمام انتصار المسلمين عليهم فى خيبر ، ولم تعد لديهم من قوة أو شكيمة يتعرضون بهما للمسلمين بعـــد هذه الغزوة الباهرة التى كتب الله فيها النصر المؤزر للمسلمين ..

وآن للنبىعليه الصلاة والسلام أن يأخـــذ حظه من الراحة فى ذلك الغروب الأخير من أيام المعركـــة ، فانتحى وصحابته مكانا تظلله اشجار خيبر ، ويفوح من زهرها ارج طيب عذب ، وأخذ عليه الصلاة والسلام يتبادل وصحابته حديث السمر والذكريات مرها وحلوها ، بينما قادة الألوية يحصون شهداء المسلمين ويشرفون على دفنهم حيث ينزلون منازل الصديقين والأبرار ..

وبينما النبى فى سمره ومن حوله صحابته ، لمحوا شبحا يتمايل مـــن بعيد يمنة ويسرة ، ويتقدم الى المكان متردد الخطى ويكاد أن ينكفىء على وجهه من فرط ما يعانى من إعياء وهزال .

وأراد نفر من الصحابة أن يقوموا اليه فيقتلوه خشـــية أن يكون خدعة من خدع الأعداء ، لكن النبى عليه الصلاة والسلام نهاهم عـــن قتله وطلب أن يترك وشأنه حتى يتبين لهم قصده ومأربه ..

ولما أصبح الرجل على قيد خطوات من الرسول وصحابته من حوله ؛ سمعوه يسأل :

— أين بالله ذلك الرجل .. نبى العرب الذى تتحدث الناس عنه ؟ يقولون انه هنا فى خيبر ..

ساعتئذ ، أشار الرسول الى الرجل أن يتقدم ليرى ما يسأل عنـه رأى العين .

كان الرجل حبشيا أسود اللون ، شائه الخلقـــة ، أشعث الرأس وتفوح من أدرانه رائحة نتنة كريهة تجزع منها النفس والعين والأنف حتى أخذ الصحابة يسدون أنوفهم ويلوحون بأيديديهم تقززا ونفورا ..

قال الرجل : يا رسول الله ، إن أسلمت فما الذى ينالنى من أمر هـــذا الدين الذى تدعو الناس اليه ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : تكون لك الجنة .

قال الرجل : إذن فاعرض على الاسلام ..

قال النبى : قل ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

ردد الرجل ما قاله النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم عاود حـــديثه مع النبى فقال : فكيف أصنع مع صاحب الغنم وهى أمانة فى عنقى وهى للناس ، وفيهم فقراء يقتاتون من حليبها ويبيعون من نسلها ما يحفظ عليهم حياتهم ..

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : نرد اليك غنمك لترجع الى أصحابها .

وصحب الرجل حارس من حراس الماشية التى غنمها المسلمـــون وأخذ الراعى الأسود يشير الى غنمه حتى استوفى عددها كاملة غيـــر منقوصة ، وساقها الى مقربة من مكان النبى .

قال الرسول : أهذه غنمك كاملة ؟ قال الراعى : بلى يا سول الله

قال الرسول : اضرب فى وجهها فانها سترجع الى صاحبها .

فقام الأسود فأخذ حفنـــة من حصباء فرمى بها فى وجهها وقال : ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك .

ساعتئذ تحركت الغنم مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى بلغت أطلال حصن صغير تخرب اغلبه ، ولاذت به قلة من اليهود تركهم النبى لما رأى أغلبهم اضعف من أن يفعلوا شيئا ..

وفى صباح اليوم الجديد ، خرجت كتيبة من جيش النبى لتطهر أحد جيوب المقاومة فى طريق عودة المسلمين الى المدينة ، وكان من بين جنودها راعى الغنم الاسود ..

ودارت معركة ضئيلة بين فلول اليهود اليائسين وجنود النبى المنتصرين تم القضاء فيها على ذلك النفر القليل من اليهود المعاندين .

وكانت ارادة الله ان يصاب الراعى الاسود بسهم لم يعرف راميه فاصابه فى مقتل وخرصريعا لساعته وهو لم يسجد لله سجدة واحدة .

وحمل جنود الكتيبة جثمان الراعى الاسود الى حيث النبى ومعه نفر من صحابته ، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام أعرض عنه ولم ينظر اليه ، بل كانت عيناه تتطلعان الى بضع سحابات بيضاء تروح وتغدو فى الأفق البعيد .

وسأل الصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه وقد أبلى بلاء حسنا ؟

قال الرسول : أرى معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان له : ترب الله من ترب وجهك ، وقتل من قتلك .

وساعة أن حمل جثمان الراعى الاسود الى مرقده الاخير فى قبر حفر له الى جوار شهداء المعركة ، انبعثت من جسده رائحة زكية ، وكان هناك نور أبيض يلوح من داخل القبر ...

المراجع :

١ ــ « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل
٢ ــ السيرة الحلبية
٣ ــ شرح المواهب للزرقانى
٤ ــ البداية والنهاية لابن كثير .

الفتاوى

السؤال : ما حكم صلاة من يقتل العقرب وهو فى الصلاة .. ؟

الجواب : الاسلام يوجب الدفاع عن النفس أمام أى عدوان سواء كان هذا العدوان من انسان أو حيوان . ولا شك أن العقرب من الحشرات الخبيثة التى يجب قتلها ، والمصلى فى هذه الحالة مخير بين أمرين : إما أن يقطع صلاته ويقتل العقرب ثم يستأنف الصلاة من جديد وبذلك أفتى بعض الفقهاء .

وإما أن يقتله وهو فى الصلاة فلا يقطع صلاته بل يستمر فى اتمامها وبذلك أفتى البعض الآخر من الفقهاء ، واستدل القائلون بهذا الرأى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقتلوا الاسودين فى الصلاة الحية والعقرب) رواه أحمد وأصحاب السنن والحديث حسن صحيح وهذا من يسر الدين وسماحة الشريعة الاسلامية .

السؤال : ما الحكمة فى القراءة الجهرية فى المغرب والعشاء والفجر والسرية فيما عدا ذلك ؟

الجواب : الاصل فى الجهر والاسرار ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالقراءة فى الصلوات كلها فى بدء الدعوة وكان المشركون يؤذونه ويقولون لاتباعهم اذا سمعتموه يقرأ فارفعوا أصواتكم بالاشعار والاراجيز وقابلوه بكلام اللغو حتى تغلبوه فيسكت وكانوا يسبون من أنزل القرآن ومن أنزل عليه ومن نزل به فأنزل الله تعالى فى سورة الاسراء ((**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**)) فكان بعد ذلك يخافت فى صلاة الظهر والعصر حتى لا يتعرض للايذاء ويجهر فى المغرب لاشتغالهم بالاكل وفى العشاء والفجر لنومهم واما الجهر فى الجمعة والعيدين لانه أقامهما بالمدينة .

وقد روى عن ابن عباس : لا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلات الليل وانه وان كان الحال قد تغير بالنسبة للسبب الذى من أجله كانت السرية والجهرية وذلك لقوة شأن المسلمين فان النبى صلى الله عليه وسلم مع قوة المسلمين فى عهده قد استمر على الصلاة الجهرية فى وقتها والسرية فى وقتها ولعله رأى فى النهار صخبا ولغطا وفى الليل هدوءا وتذكيرا للمسلمين فأصبح ذلك سنة فعلية استمر عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وعلينا أن نتبعه فيها .

السؤال : الاستماع الى الأغانى حلال أو حرام ؟

الجواب : الغناء منه ما هو حلال لا بأس بالاستماع اليه ، ومنه ما هو حرام يجب الابتعاد عنه ، فمن النوع الحلال ما كان بانشاد شعر لا فجور فيه ولا يدعو

الى معصية وبصورة ليس فيها تخنث أو تكسر وليس فيها اظهار لما أمر الله بستره وذلك مثل ما كان العرب يستعملونه فى حداء الابل فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يستمع الحداء ويطلب من احد الصحابة أن يحدو بهم فى السفر .

ومن الغناء المباح غناء المرأة لزوجها وأولادها ومنه الغناء فى الاعياد والعرس وقدوم الغائب وفى وقت الوليمة والعقيقة بحيث لا يصاحب هذا الغناء شيء من المحرمات .

أما اذا كان الغناء يغرى بالفتنة ويستثير الغريزة ويطغى فيه الجانب الحيوانى على الجانب الروحى إما عن طريق موضوع الأغنية أو كلماتها المثيرة أو عن طريق الاداء وذلك بالتكسر والتميع والحركات الفاتنة فالاستماع الى هذا اللون من الغناء حرام ، وفتح لباب الفتنة على الدين والخلق — كما يحرم الغناء اذا اقترن بمحرمات أخرى كأن يكون فى مجلس شرب أو تخالطه خلاعة أو فجور من النوع الذى توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله وسامعيه بالعذاب الشديد حين قال (يشرب ناس من أمتى الخمر ، يسمونها بغير اسمها يضرب على رءوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل الله منهم القردة والخنازير) رواه ابن ماجة وابن حبان فى صحيحه وقد يكون المراد بالمسخ هو مسخ النفس والروح فيحملون فى صورة الانسان نفس القرد وروح الخنزير .

السؤال : ما حكم تقصير الشعر للمرأة ؟

الجواب : تقصير المرأة شعرها بحيث يكون خفيفا ليسهل عليها العناية به أو بقصد التجمل لزوجها لا حرج فيه ما دامت لم تقصره بقصد التشبه بالرجال لأن المرأة لا يحق لها أن تتشبه بالرجال ، أما تقصيره على الطريقة الخاصة بالنساء فهو جائز على أصل الاباحة على شرط الا يقوم بالتقصير رجل ، وقد ورد فى صحيح مسلم أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم (كن يأخذن من رءوسهن حتى تكون كالوفرة) والوفرة : الشعر المحاذى لشحمة الأذن .

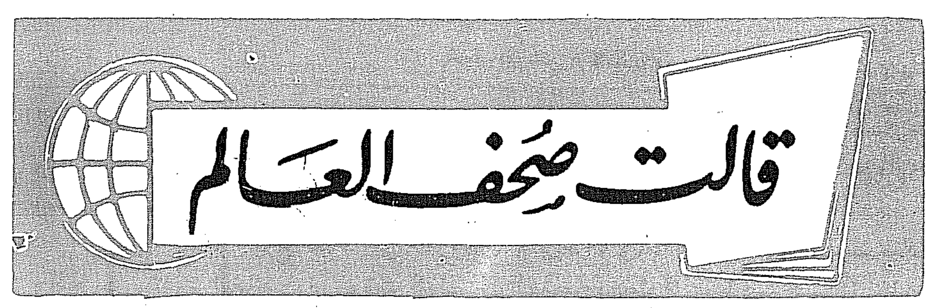
السؤال : سمعت رجلا كان يجلس فى المسجد الحرام يقول وهو يشير الى الكعبة : (والكعبة المشرفة ما حصل منى كذا) فما حكم هذا القسم ؟

الجواب : الحلف بغير الله حرام ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقد ورد فى حديث رواه مالك والبخارى ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجة . عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

السؤال : ماتت امراة وتركت زوجا وابوين فقط فما نصيب كل ؟

الجواب :

للزوج : النصف ، وللأم ثلث الباقى وللأب ما تبقى بعد ذلك . وهذا رأى الجمهور وهو الأصح .



المهام الصحية فى الحكومة النبوية

تحت هذا العنوان نشرت مجلة (حضارة الاسلام) السورية مقالا مطولا عالج فيه الكاتب المهام الصحية فى العصر النبوى .. وأبان أن الاسلام قد عنى عناية بالغة بالصحة والحفاظ عليها .. وانه قد سن من القوانين والتشريعات والمبادىء ما يحفظ على الأمة شبابها وصحتها .. والاسلام بذلك يكون قد حقق قبل عدة قرون ما تنادى به منظمات الصحة العالمية فى عصرنا هذا ..

ففى مجال التخطيط الصحى الوقائى يقول الكاتب :

لقد خطط الاسلام لنشر التعاليم الصحية وتطبيقها على اتباعه وتخطيطا يجعل المسلم المتدين المتمسك بشرع الله تعالى مطبقا لها ومتقبلا الوصايا الصحية المبنية على ما جد من ابحاث واكتشافات تطور فن الصحة وترقيه .

واليكم أهم الأسس فى ذلكم التخطيط :

١ — الاهتمام بالنظافة والطهارة فى الجسم والملبس والمسكن والطريق لأن الطهارة والنظافة من سيماء الجمال والكمال ، ولأن الاقذار والنجاسات هى المصدر الرئيسى للجراثيم عوامل الأمراض ولذا اشترط الاسلام الطهارة لصحة الكثير من عباداته ، وجعلها بابا من أبواب المغفرة الالهية ، وصدق الله العظيم : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

٢ — سن تشريعات من شأنها وقاية المياه من التلوث . من هذه التشريعات:

١ — النهى عن ادخال المستيقظ يده فى الاناء قبل أن يغسلها .

٢ — تنظيم استعمال اليدين بابعاد اليد اليمنى عن مجالات الأقذار والتلوث وان كان التطهير يشملها .

٣ — والنهى عن التنفس فى أثناء الشرب وعن النفخ فيه .

٤ — الأمر بتغطية الاناء وربط السقاء .

٥ — النهى عن الأغتسال فى الماء الراكد .

٦ — النهى عن التبول والتبرز فى الماء وقرب الموارد .

٧ — الحكم بنجاسة سؤر الكلب والتشديد فى تطهير ما ولغ فيه أو تنجس به وقد جعل الاسلام اقتناء الكلاب للضرورة وفى أضيق الحدود . وفى ذلكم سبق علمى حيث لم يدرك سره الا بعد مضى أكثر من عشرة قرون أى بعد اكتشاف سؤر الكلب وما تنجس بالكلب المصاب بديدان (الشريطية المكورة المشوكة) هما السبب فى أصابة الانسان بداء الكيس المائى (أو الكلبى) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب ان يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب) وقال عليه الصلاة والسلام : (من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فانه ينقص من أجره قيراطان كل يوم) .

٣ ــ تحريم الخبائث من المطعومات والمشروبات كالميتة والــدم ولحم الخنزير والخمر .

ولقد اشار القرآن الكريم الى أن تحريم الخبائث هو من مهمات رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ، وذلك فى قوله تعالى : (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وان الطب الحديث يؤيد ذلك التحريم ويوضــح اضرار تلــك المحرمات بصحة الانسان . ولبيان ذلك مقالات خاصة .

٤ ــ تحريم الفواحش :

قال تعالى : (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) فحرم بذلــك الاتصالات الجنسية غير المشروعة ما جرى منها علانية وما جرى سرا وما كان فى عالم الحس والظاهر وما كان مستترا فى النية والضمائر ، وذلك لأن العفة صفة خلقية راقية وطريق محفوظ تقى من الأمراض الزهرية ومن التدنى الخلقــى والفساد الاجتماعى كما تقى من تحطيم كثير من الأسر .

٥ ــ دمج بعض المناهج الصحية فى صلب العبادات أو اشتراطها لهــا كاشتراط الطهارة لصحة كثير من العبادات . بل انا لنجد فى العبادات عــلاوة على الفوائد الروحية والاجتماعية فوائد صحية غير الطهارة ، مثلا نجد فى الصلاة رياضة غريزية وأوضاعا صحية قويمة ، ونجد فى الصيام حمية وقائية لجميع من فرض عليهم وحمية علاجية لبعضهم .

٦ ــ اثارة الاهتمام بالصحة والعافية والحرص على ما ينفع :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا) وقال عليه السلام : (المــؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ..)

٧ ــ بث الوعى الصحى فى المجتمع :

وذلك بالارشاد والتنبيه والتعليم . واشير هنا الى ان الارشاد الصحى فى الاسلام السائد فى العالم اجمع زمن الوحى الكريم ، وكان من تعاليم رســـول الاسلام صلوات الله عليه ما هو ابداع لم يسبق لمثله . ثم جــاء العــلم الحديث بعد اكثر من عشرة قرون مؤيدا تلك الارشادات ، مثيرا فى المطلــع اعجابا بما يراه من سبق علمى دال أيضا على صدقه صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله حقا ، وما أكثر الادلة والبراهين على ذلك ، وصدق الله العظيم : (وما ينطق عن الهوى أن هو الا وحى يوحى) .



القــرآن أول من نبه الى سكينة النفس

حول سكينة النفس وأثرهـــا على الانسان فى صـــحته وعمـــله ، وكيف أن صاحبهـــا بمناى عن الاضطراب العصبى ، سعيدا فى كل أحواله . . راضيـــا كل الرضا بما قسم الله له . .

كتب القارىء الفاضل مصطفى محمد الفار : يقـــول : ــ

لقد اثبت اتساع آفاق العلم فى العصر الحديث أن كل ما جاء به التقدم الفكرى فى العلوم له أصل فى القرآن الكريم ، وأنه حتى ما استحدث من علوم فى الآونة الأخيرة قد جاء بها القرآن موجها النظر اليها ، أو هادفا بآياته اليها أو موضحا أساسها ، وهكذا يتحقق وجه من أوجه الاعجاز القرآنى الا وهو الاعجاز العلمى ، واذا كان علم النفس يعتبر من ضمن العلوم الحديثة التى لاقت اهتماما بالغا فى العصر الحديث لصلته بالجسم والروح ، فان القرآن الكريم قد جاء بما يمكن أن يكون القواعد الاساسية لهذا العلم .

فالآية الرابعة من سورة الفتح نصها (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) .

وفى سورة التوبة يقول القرآن الكريم فى الآية السادسة والعشرين (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) .

وتتكرر الآيات التى تبشر من وهبهم الله سكينة النفس حتى انها بعد الموت ترجع الى ربها راضية مرضية كنص الآية السابعة والعشرين من سورة الفجر التى تقول (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) .

هذه الآيات ومثلها تقرر أن سكينة النفس احدى هبات الله التى يهبها لمن شاء من عباده المؤمنين لتزيدهم إيمانا ..

والمؤمن هو الذى آمن بالله حق الايمان ، فان أصابه خير اطمأن به وشكر الله عليه ، وان أصابه الشر صبر ولم يجزع منه ودعا الله أن يخفف عنه ويرى ان كل ما فى الوجود من الله والى الله ، يؤمن بأن رزقه وعمره وأولاده انما هى امور ارادها الله فلا يزلزله الشر ولا يطغيه الفرح . هذا المؤمن وقد وهبه الله سكينة النفس اصبح متمنعا على القلق ، بعيدا عن الاضطراب العصبى الذى يسببه الفرح أو الحزن ..

هذا المؤمن وقد وهبه الله سكينة النفس لا يعانى الخوف ابدا .. ذلك الذى انتشر فى العصر الحديث انتشارا مروعا وتعددت أسبابه ، واشكاله فالخوف من الموت .. ومن المرض .. ومن الجنون .. ومن المجهول .. أيا كان المجهول . !!

ويعتبر القرآن الكريم اول كتاب فى العالم نبه الأذهان الى سكينة النفس واهميتها ونتائجها وجعلها من سمات المؤمنين .

وقد كتب عنها فى السنوات الأخيرة عشرات الكتب بعد أن اصبحت النفس موضع اهتمام الاطباء والعلماء .

١ ــ اثبت الأطباء أن الأمراض التى ليس لها سبب عضوى ، سببها النفس بل وأخطر من ذلك ان معظم الامراض العضوية سببها كذلك النفس ، وقد أمكن للأطباء أن يربطوا بين مظاهر الامراض والقلق النفسى ، فوجدوا أنه حتى أمراض ضغط الدم والشلل ، والذبحة ، والموت المفاجىء لها صلة بالحالة النفسية .

٢ ــ وليت أمر النفس وسكينتها يقف عند حد مرض الانسان وشفائه .. بل يقرر علماء الاجتماع ان حوادث العمل واصابات العمال انما ترجع الى النفس الحائرة ، وان صاحبها اقل انتاجا فى عمله ، وأكثر تعرضا للخطر من جراء أصابات العمل التى هو سببها . ولذلك فان المؤسسات والشركات تهتم بمقابلة موظفيها وعمالها قبل تعيينهم وتعرضهم على علماء النفس ليختاروا من بينهم أكثرهم سكينة فى نفسه ، وأقلهم قلقا ، وهكذا تفتح سكينة النفس أمام صاحبها وسائل العمل .

أما فى مجال التجارة فكلنا يعلم كم من تاجر فقد سكينة النفس ففقد عملاءه وفقد ماله .. فليس هناك من يحتمل أن يناقش من يعانى قلقا أو أضطرابا ، وليس هنالك فى الحياة من يمكنه أن يعيش منفردا ..

من هنا نرى ان سكينة النفس هى خير عطاء من الله لعباده وقد سبق القرآن العلم بعشرات المئات من السنين فى بيان فضلها ، وكيف أن الله قد وهبها للأخيار من عباده ، لتنجيهم من كل شر فى الحياة ، وتهيىء لهم السعادة والصحة، ولذلك فإنه وهبها للمؤمنين عندما أخلصوا للرسول فى بيعتهم له كنص الآية الثامنة من سورة الفتح (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .

إعداد : فهمى الامام

عبد الله بن رواحة

حياته ملحمة من ملاحم البطولة والتضحية والجهاد .. كان رضى الله عنه سهما فى صدر الكافرين والمشركين .. قاتلهم بالكلمة الصادقة .. فكان لها وقع أليم فى نفوسهم ورماهم بسيفه ورمحه دفاعا عن الاسلام والمسلمين وحتى تكون كلمة الله هى العليا .. وقدم نفسه رخيصة فى سبيل الله .. فاستحق البشارة فى قوله تعالى : **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** .

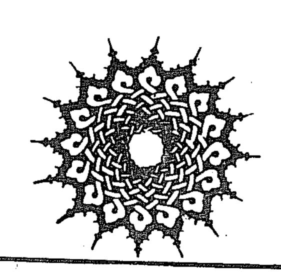
فليكن للمجاهدين ضد الباطل فى كل عصر قدوة حسنة فى عبد الله بن رواحه رضى الله عنه .

اسمه : عبد الله بن رواحه بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو .. ينتهى نسبه الى الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخزرجى .

أمه : كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة خزرجية أيضا .

كنيته : أبا محمد .. وكان يكنى بأبى رواحه .. وأحيانا : بأبى عمرو .. وهو ليس له عقب .

مكانته : صحابى جليل من الأمراء والشعراء .. كان يكتب فى الجاهلية .. وكان رضى الله عنه من السابقين الأولين من الأنصار فهو أحد النقباء الاثنى عشر ، وشهد العقبة مع سبعين من الأنصار ، وآخى النبى بينه وبين المقداد .. واستخلفه النبى على المدينة فى احدى غزواته .. وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم .



صفته : روي عن امراته انها قالت : كان اذا اراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين واذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك .

روايته للحديث : كان رضى الله عنه راويا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عنه ابن عباس ، وأسامة بن زيد ، وانس بن مالك .

فى عمرة القضاء : لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة معتمرا كان ابن رواحة بين يديه ينشد قائلا :

خلوا بنى الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر : يا ابن رواحة أفى حرم الله وبين يدى رسول الله تقول هذا الشعر ؟

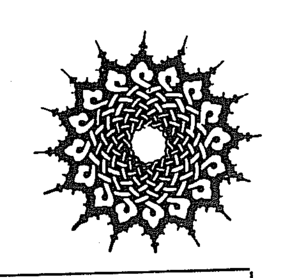
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خل عنه يا عمر فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

غزواته : شهد بدرا .. وهو الذى جاء ببشارة النصر فى وقعة بدر الى المدينة ، وشهد أحداً والخندق والحديبية .. فلم يتخلف رضى الله عنه عن غزوة فى سبيل الله .. وكان أحد الأمراء فى موقعة مؤتة .. (وهى قرية على مشارف الشام) وفى هذه الموقعة أبلى المسلمون بلاءً حسنا .. فقد قال رسول الله للجيش الخارج الى الجهاد : (أمير الناس زيد بن حارثة، فان قتل فجعفر بن أبى طالب ، فان قتل فعبد الله ابن رواحة) .

وناداهم المسلمون وهم يشيرون اليهم : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردكم الينا صالحين .

فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا



أو طعنـــة بيـــدى حران مجهـــزة
بحـــرية تنفـــذ الأحشاء والكبـــدا
حتى يقـــال اذا مروا على جـــدثى
أرشده الله من غـــاز وقد رشـــدا

ســـلاح المؤمن : وسار الجيش المسلم حتى وصل قريبا من مؤتة .. فلمـــا علم بعدد الروم وعتادهم .. قالوا نرسل الى رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم نستشيره فانهم يفوقوننا عددا وعدة . فقال عبد الله بن رواحـــة :

يا قوم ، والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبـــون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين ، اما ظهور أو شهادة .

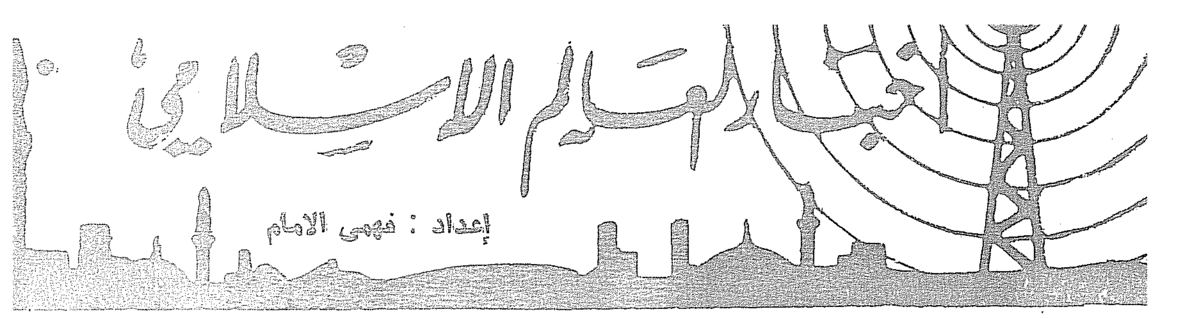
وفـــاته : دارت الحـــرب .. وحمى الوطيس .. واشتد القتـــال .. فاستشهد زيد بن حارثة .. وحمل الراية بعده جعفر بن أبى طالب .. وظل يقاتل حتى نال الشهادة فى سبيل الله .. ثم جاء عبد الله بن رواحة .. فدفع بنفسه فى أتون المعركة .. لا يبالى بشىء ولا يهاب الموت فى سبيل الله ..

وأخـــذ يقول :

أقســـمت يا نفســـى لتنزلنـــه
لتنزلن أو لتكرهنـــــــــه
ان أجلب النـــاس وشدوا الرنة
مالى أراك تكـــرهين الجنـــة
قد طـــال ما قد كنت مطمئنـــة
هـــل أنت إلا نطفـــة من شـــنة

ثم نال الشهادة فى سبيل الله ..

فرضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله صلى اللـــه عليـــه وسلم .



الكويت :

● قام سمو أمير البلاد المعظم بزيارة رسمية وخاصة للجمهورية الفرنسية على رأس وفد كويتى ضم عددا كبيرا من المرافقين .

● سيقوم سمو الأمير المعظم بزيارة المملكة المغربية الهاشمية بناء على دعوة من الملك الحسن .

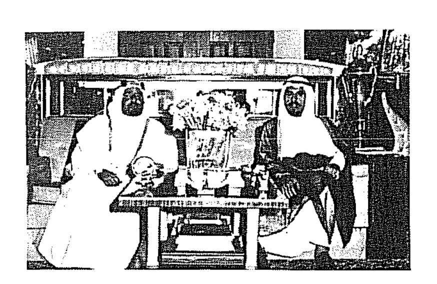
● زار البلاد الرئيس محمد أنور السادات على رأس وفد مصرى فى الفترة الواقعة بين ١٢ و ١٤ من مايو .. وذلك فى بداية جولته التى شملت بالاضافة الى الكويت : العراق والاردن وسوريا . وقد اجتمع سيادته الى سمو أمير البلاد المعظم .. وتباحثا فى القضايا التى تهم البلدين ..

● قام سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد بزيارة رسمية على رأس وفد كويتى كبير .. شملت دول الخليج العربى .. فزار دولة البحرين ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، ودولة قطر .. وتباحث مع المسؤولين فيها فى الشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تهم منطقة الخليج العربى ..

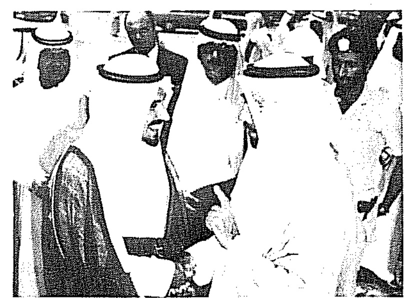
● قام بزيارة الكويت العقيد موسى تراورى رئيس جمهورية مالى ، وقد اجتمع الى سمو أمير البلاد المعظم .. وتناولت المباحثات العلاقات بين البلدين ووسائل تدعيمها .



سمو أمير البلاد المعظم وهو يودع الرئيس أنور السادات لدى مغادرته البلاد ، بعد زيارة للكويت دامت ثلاثة أيام .



سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد وصاحب السمو أمير دولة البحرين فى قصر الرفاع .



رئيس دولة الامارات العربية المتحدة يتحدث الى سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء قبيل مغادرة سموه مطار أبو ظبى متوجها الى دبى ضمن برنامج زيارته الرسمية لدولة الامارات العربية المتحدة .

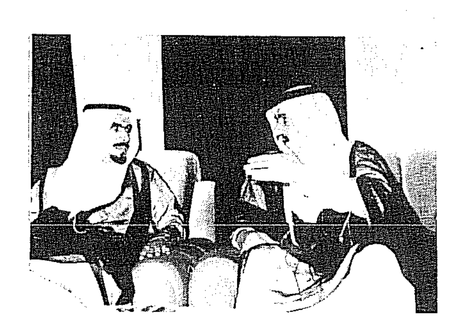
● وافق مجــلس الوزراء على مشروع قانون بانشاء وكالة الانبــاء الكويتية الجديدة ، وســـتكون فى شكل مؤسسة عامة .

● صرح وزير العدل والاوقاف والشؤون الاسلامية السيد عبد الله المفرج بأنه بصدد طرح مناقصــة انشاء ٤٠ بيتا للأئمة ، وأنه سيتم انشاء مساجد جديدة ، وصـــيانة المساجد الحالية ، وســـوف يعيد النظر فى مشروع الموسوعة الفقهية، وسيتم اصدار ملحق خاص بالشباب لمجلة الوعى الاســـلامى . وقال الوزير : ان مجــلس الوزراء وافق على دعم جديد للصندوق الطبى لغير الكويتيين بمبلغ ٢٠ الف دينار .

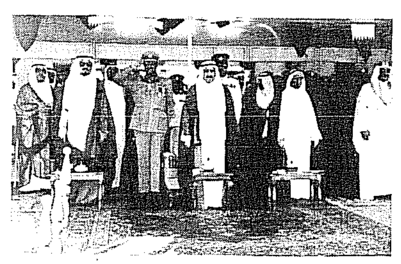


● قام الاستاذ يعقوب غنيم وكيل وزارة التربيـــة بزيارة دار القرآن الكريم التــابعة لوزارة العـدل والاوقاف والشؤون الاســـلامية للوقوف على سير الدراسة فى الدار وكان يرافقه الاســتاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة المســاعــد للشئون الادارية والشيخ حسن مناع مدير الدار ..

● طالب احد اعضـــاء مجلس الأمة الكويتى ببناء ستة مساجد فى منطقة الرقة توزع على القطـــع الست التى تتكون منها المنطقة .



قام سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد بزيارة صـاحب السمو الشيخ خليفة بن حمـد آل ثانى بمكتبه بقصر الدوحـة حيث سلم لسموه رسالة من حضرة صاحب السمو امير دولة الكويت المعظم .



احتفل مؤخرا بتخريــج دفعة جديدة مـن خريجى الكلية العسكرية وذلك برعاية صاحب السمو أمير البلاد المعظم . ويبدو فى الصورة سمو الأمير والى جانبـه سمو ولى العهـد رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس مجلس الامة والمستشار الخاص لسمو الأمير .

السعودية :

● عقد مؤتمر قمة مصغر فـى الرياض بدعوة من الملك خالد بـن عبد العزيز وبحضور الرئيس أنور السادات ، والرئيس حافظ الاسد .

● أعلن الملك خالد والرئيـس السادات والرئيس الاسد تصميمهم على عدم السماح بأن يعود الوضع

فى المنطقة الى حالة اللا حرب واللا سلم التى كانت سائدة قبل حرب رمضان .

● اعلن الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد النائب الاول لرئيس الوزراء أن العرب اتخذوا لكافة الاحتمالات عدتها .

● اتفقت السعودية ومصر ودولة الامارات وقطر على اقامة مؤسسة مشتركة برأسمال مليون دولار وذلك لتطوير الصناعات ــ بما فى ذلك صنع الاسلحة ــ وسيكون مقر المؤسسة فى القاهرة .

مصر :

● سيبقى فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر فى منصبه بعد بلوغه الخامسة والستين .. وذلك تقديرا لخدماته الدينية والعلمية .

● استقبل الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الاوقاف وشؤون الازهر بعثة الشؤون الاسلامية بماليزيا التى زارت القاهرة لدراسة نظم الاوقاف والدعوة الاسلامية .

● يجرى الازهر امتحانات مسابقة البعثات الى الدول العربية والاسلامية لشغل مراكز التدريس والوعظ الشاغرة فيها ، وتقدم للمسابقة ٧٠٠ مدرس فى مختلف العلوم و ٢٠ واعظا ، ويمتحن المتقدمون فى القرآن الكريم والمواد العامة .

● تابع شيخ الازهر انشاءات جامعة الازهر بطنطا ، بلغت تكاليف انشائها نحو مليون جنيه ، ومن المقرر أن تبدأ الدراسة ــ باذن الله ــ بكليتى الشريعة واصول الدين .

● قررت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم اقامة مؤتمر قرآنى كبير تدعو اليه كبار العلماء والهيئات القرآنية ورجال الدولة والدول الاسلامية ورجال الاعلام .

● تبحث وزارة السياحة تكوين شركة دولية مساهمة لبواخر السياحة الاسلامية تتولى اعداد وتجهيز ٤ بواخر ضخمة ــ كمرحلة أولى ــ تخصص لنقل الحجاج وتنظيم الرحلات السياحية لاشهر المعالم الاسلامية ، وخدمة مسلمى دول ساحل غرب أفريقيا والامريكتين واوروبا ودول شرق آسيا .

ابو ظبى :

● أقر المجلس الاعلى لدولة الامارات المتحدة توحيد القوات الدفاعية للامارات فى جيش اتحادى واحد ، يكون له الحق فى حيازة الاسلحة الجوية والبرية والبحرية .

● أصدر الشيخ زايد بن سلطان قرارا بانشاء مجمع سكنى منفصل للعزاب العرب والاجانب العاملين فى (ابو ظبى) ، ويبلغ عدد العزاب الذى يستوعبهم المجمع ٤ آلاف عازب .

لبنان :

● شنت اسرائيل اعتداءات متكررة على جنوب لبنان .. وقامت بخطف عدد من الاهالى الامنين .. كما استخدم فى اعتداءاتها الطائرات والدبابات .

فلسطين :

● هاجم الفدائيون الفلسطينيون مبنى الكنيست الاسرائيلى ، كما شنوا هجوما جريئا على مبنى لضباط المخابرات الاسرائيلية ، وكبدوا العدو خسائر فادحة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

ايام الاسبوع	جمادى ٢ ١٣٩٥	يونيو ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
ثلاثاء	١	١٠	٣٠٤	٢٧ ٨	٢ ١٠	١ ٥	٣٦ ٨	٣٣ ١	١٣ ٣	٤٨ ٤	٤٧ ١١	٢٢ ٣	٤٦ ٦	١٩ ٨
اربعاء	٢	١١	٣٠٥	٢٦	١	١	٣٥	٣٣	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٧	٢٠
خميس	٣	١٢	٣٠٦	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٢	٤٧	٢٠
جمعة	٤	١٣	٣٠٧	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٢	٤٧	٢٠
سبت	٥	١٤	٣٠٨	٢٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٣	٤٨	٢١
احد	٦	١٥	٣٠٩	٢٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٣	٤٨	٢١
اثنين	٧	١٦	٣١٠	٢٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٩	٢٣	٤٨	٢١
ثلاثاء	٨	١٧	٣١١	٢٣	٥٩ ٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٨	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
اربعاء	٩	١٨	٣١٢	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
خميس	١٠	١٩	٣١٣	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
جمعة	١١	٢٠	٣١٤	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣
سبت	١٢	٢١	٣١٥	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
احد	١٣	٢٢	٣١٦	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
اثنين	١٤	٢٣	٣١٧	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
ثلاثاء	١٥	٢٤	٣١٨	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
اربعاء	١٦	٢٥	٣١٩	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥١	٢٥	٥١	٢٤
خميس	١٧	٢٦	٣٢٠	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥١	٢٥	٥١	٢٤
جمعة	١٨	٢٧	٣٢١	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٤	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
سبت	١٩	٢٨	٣٢٢	٢٤	٠٠ ١٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٤	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
احد	٢٠	٢٩	٣٢٣	٢٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
اثنين	٢١	٣٠	٣٢٤	٢٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٥	٥٢	٥٢	٢٥	٥١	٢٤
ثلاثاء	٢٢	يوليو	٣٢٥	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
اربعاء	٢٣	٢	٣٢٦	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
خميس	٢٤	٣	٣٢٧	٢٦	١	١	٣٥	٣٣	١٧	٥٣	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
جمعة	٢٥	٤	٣٢٨	٢٦	٢	١	٣٥	٣٣	١٧	٥٣	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
سبت	٢٦	٥	٣٢٩	٢٧	٢	١	٣٥	٣٣	١٨	٥٣	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
احد	٢٧	٦	٣٣٠	٢٨	٣	٢	٣٦	٣٣	١٩	٥٤	٥٣	٢٧	٥١	٢٣
اثنين	٢٨	٧	٣٣١	٢٨	٣	٢	٣٦	٣٣	١٩	٥٤	٥٣	٢٧	٥١	٢٣
ثلاثاء	٢٩	٨	٣٣٢	٢٩	٤	٢	٣٦	٣٢	٢٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٣
اربعاء	٣٠	٩	٣٣٣	٣٠	٥	٣	٣٧	٣٢	٢٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢

« إلى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٤٢٢٨ بيروت — لبنان أو بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .

المغرب : الدار البيضاء — السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية : جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

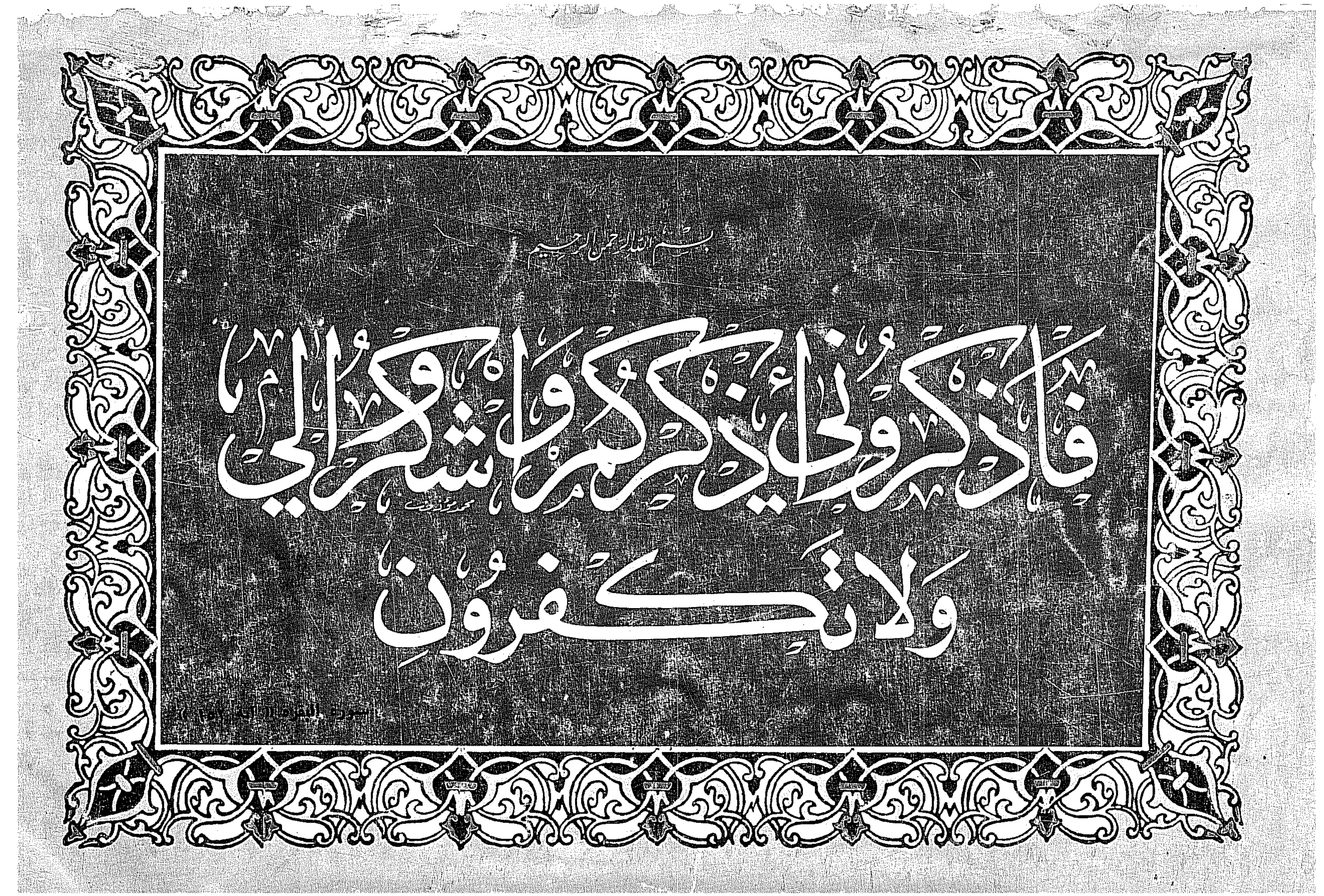
دبى : مكتبة دار الحكمة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيا ١٠ قروش ● تونس ١٢٥ مليما ● الجزائر دينار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعدن ٧٥ فلسا
● لبنان وسوريا ٥٠ قرشا ● مصر والسودان ٤٠ مليما


بسم الله الرحمن الرحيم
فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون
سورة البقرة آية ١٥٢